

مختصر مفید

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
1431هـ - 2010م.

المركز الإسلامي للدراسات

مختصر مفيد

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الخامس عشر

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هو دليل اجتهادك؟! :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين..
السلام عليكم..

سماحة العلامة المؤرخ المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي..

قرأت الكثير من الشبهات التي أوردتها حول سماحة المرجع
الديني آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله وأردت أن أوجه
إليك سؤالاً حول بعض ما اتهمت به سماحة المرجع المعظم:

1 - على أي أساس تبني تسقيطك لاجتهاد هذا المرجع الكبير الذي
قلما - سماحتك - يجود الدهر بأمثاله؟!!

2 - وإن كنت تؤمن بهذا المنهج الذي تطبقه على سمachtته في
التحقيق في أصل اجتهاده فما الدليل على اجتهادك - على حسب المنهج
المتبع لدى سماحتك؟!!

3 - وعلى أي أساس تفتح صفحة خاصة في موقعك الكريم - الذي
تستطيع من خلاله أن تثري الأمة الإسلامية بأفكارك العظيمة - للطعن

في سماحة هذا المرجع؟!

وفي النهاية أسأل الله أن يكثر من المؤرخين من أمثالك في الأمة الإسلامية خصوصاً إذا ما ابتعدوا عن هذه التفاصيل التي لا يلتفت إليها المقاصديون..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

أخي الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وصلتني رسالتك الكريمة في هذا اليوم، فأحببت أن أعلمك بكثير من الأمور، ولكنني وجدت أن شرحها يحتاج إلى وقت مني، وسوف يستنزف بعضاً من وقتك أيضاً لقراءتها، فأثرت الاختصار على ما يلي:

أولاً: إن ما كان بيني وبين السيد محمد حسين فضل الله لم يكن يدور حول اجتهاده أو عدم اجتهاده.. وإنما ناقشناه في أمور اعتقادية، وإيمانية، وتفسيرية، وغير ذلك.. لأننا رأينا قد نحى فيها منحى لا ينسجم مع الحقائق الثابتة في مذهبنا.. ولم يكن يهمنا إثبات اجتهاده أو

عدمه.. والذين تحدثوا عن اجتهاده ونفوه عنه هم علماء آخرون، ومن بينهم مراجع عظام، وعلماء أعلام.. ولا أدري إن كان يحق لمن لم يكن في مرتبتهم في العلم، ولا هو من أهل الاختصاص أن يناقشهم فيما هو من اختصاصهم.

ثانياً: إنني شخصياً لم أدع لنفسي أي مقام، وإنما كنت وما زلت أعتبر نفسي طالب علم صغير أرجو أن يقبلني أهل البيت «عليهم السلام» في مدرستهم.. وأسأل الله أن يحشرني معهم، ولا أريد من الدنيا أكثر من ذلك.

فلا حاجة إلى أن تتعب نفسك في هذا الأمر، الذي لا طائل تحته.. وأنا سعيد جداً إذ ناديتني باسمي مجرداً عن أي لقب مهما كان، ولا أقول ذلك تواضعاً، إنما هذه هي الحقيقة..

ثالثاً: إن الموقع الذي يعود إليّ هو موقع «الهادي» فقط وهناك مواقع أخرى أنشأها أشخاص آخرون وشباب ناشطون، ومؤمنون مخلصون، يحبون أن يساعدوا إخوانهم في الوصول إلى أجوبة على مسائلهم، وربما ينشرون على مواقعهم بعض كتبي، وأجوبتي على بعض المسائل الإيمانية والاعتقادية التي يوقفتني الله تعالى للإجابة على أسئلة الناس فيها، فجزاهم الله خير جزاء وأوفاه..

وأسأل الله لهم التوفيق للدفاع عن دينهم، ونشر نور الإيمان في كل مكان، وعلى كل صعيد..

رابعاً: أما قولك: إن هذه التفاصيل لا يلتفت إليها المقاصديون..

فلعله غير دقيق، لأن مراجع الأمة وكبار علمائها هم الذين تحركوا لمواجهة المخالفات في هذه التفاصيل.

ولا يحق لأحد الاستهانة بأي أمر من أمور الدين، إذا تعرض لأي اختلال أو عبث من أي كان.. ولا سيما إذا تجاوزت هذه المخالفات المئات.. وبلغت الألوف كما ذكرناه في كتابنا خلفيات كتاب مأساة الزهراء.. ولست أدري من هم هؤلاء المقاصديون الذين تتحدث عنهم، وما هي قيمة آرائهم فيما يرتبط بحقائق الدين والمذهب..

حفظك الله ورعاك.. وحشرنا وإياك مع ساداتنا وموالينا محمد وآله الطاهرين..

والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله..
جعفر مرتضى العاملي..

العورة :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

السؤال :

من أي قطعة تبدأ العورة في جسم الإنسان؟! وهل يجوز إذا كان رجل صائم ومصلي وتبين من جسمه: صدره

وإبطه وهو أمام امرأة صائمة ومصلية ومحتشمة؟!
 فيا مولاي الجليل هل يجوز هذا على الرجل؟!
 ولكم التوفيق والأجر والثواب..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله..
 وبعد..

قال الفقهاء، ودلت الروايات على أنه يجب على المرأة في الصلاة
 أن تستر جميع جسدها ما عدا الوجه والكفين، وظاهر وباطن القدمين.
 أما الرجل فيجب عليه ستر القبل والدبر في الصلاة، أي خصوص
 العورتين..

وأما في غير حالات الصلاة، فالمطلوب هو حفظ كرامة المؤمن،
 وصيانته عن الابتذال في الأخلاق والسلوك. ولعل ما ورد من اعتبار ما
 بين السرة والركبة عورة، وما ورد من أن الفخذ من العورة، فهو من
 الأحكام التربوية الأخلاقية، التي تدخل في هذا السياق، أو مما يراد به
 طلب المزيد من الكمالات.

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

المطر وعظم الأنبياء :

سماحة العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قد وردت هذه القصة في كتاب المناقب لابن شهر آشوب فما القول

فيها؟!!

وقد أشكل بعض المؤمنين على وجود عظم النبي، والأنبياء كما

يقولون لا أكلهم الأرض، علي بن الحسن بن سابور قال:

كان في زمن الحسن الأخير «عليه السلام» قحط فخرجوا

للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يمطر عليهم، قال: فخرج يوم الرابع بالجائليق

مع النصارى فسقوا، فخرج المسلمون يوم الخامس فلم يمطروا فشك

الناس في دينهم، فأخرج المتوكل الحسن «عليه السلام» من الحبس

وقال: أدرك دين جدك يا أبا محمد، فلما خرجت النصارى ورفع الراهب

يده إلى السماء.. قال أبو محمد لبعض غلمانه خذ من يده اليمنى ما فيها

فلما أخذه كان عظماً أسود ثم قال:

استسق الآن، فاستسقى، فلم يمطر وأصحت السماء، فسأل المتوكل

عن العظم قال: لعله أخذ من قبر نبي، ولا يكشف عظم نبي إلا ليمطر.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله، وبعد..

فقد ذكرنا في كتابنا: مختصر مفيد، ما يلي:

إننا لا يمكننا قبول دلالة الحديث الذي ذكر: أن نصرانياً وجد عظم نبي فكان يكشفه للسماء، فيهطل المطر، وقد أخذه الإمام العسكري «عليه السلام» منه، فلم يعد يقدر على الاستسقاء - نعم لا نقبل ما يمكن أن يتوهم أو يظن أنه من دلالة هذا الحديث على أن الأنبياء لا بد أن يكونوا في قبورهم بالفعل..

وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لقد دلت الروايات على أن الله قد حرم لحوم الأنبياء على الأرض مع أنه قد يفهم من هذه الروايات: أن أجسادهم فنيت، وبقيت عظام منها..

وقد أثبتت الوقائع: أن أجساد بعض المؤمنين والشهداء، ومنهم الحر بن يزيد الرياحي قد بقيت غضة طرية رغم توالي القرون والأحقاب.

كما أن الروايات قد دلت على أن من يواظب على غسل الجمعة، لا يفنى جسده، كرامة من الله تعالى له. فما بالك بأجساد الإنبياء وأوصيائهم؟!!

إلا أن يقال: إن الحديث الوارد عن النبي «صلى الله عليه وآله»، يقول: «إن الله حرم لحومنا على الأرض، الخ..»⁽¹⁾ وليس بالضرورة أن يكون الضمير في هذا الخبر راجعاً للأنبياء، فلعله «صلى الله عليه وآله»، يتحدث عن نفسه، وعن أهل بيته الطاهرين..

ثانياً: إنه ليس بالضرورة أن يكون العظم الذي أخذه ذلك الراهب من الأجزاء المتصلة بالجسد، فقد يكون عظماً من قبيل الضرس، أو السن، أو الظفر المدفون مع الجسد، حيث يستحب دفن هذه الأجزاء، التي تؤخذ من الجسد حال الحياة..

وربما يشير إلى ذلك ما أظهرته الرواية المشار إليها، من صغر حجم ذلك العظم، حتى إن الراهب قد وضعه بين إصبعيه: السبابة والوسطى..

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الحصول على هذا العظم لا يتناقض مع النصوص القائلة: إن أجساد الأنبياء لا تبنى، فلعل الجسد باق، وقد بقي معه ما دفن من أجزاء منفصلة عنه.. كالظفر، والسن، وما إلى ذلك..

بل إن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة قد دلت على أن المجرمين والطغاة كانوا يقتلون النبيين بغير حق، وكانوا يقطعون

(1) راجع: بصائر الدرجات ص 463 و 464 وبحار الأنوار ج 22 ص 550.

أجسادهم بالمناشير.. ففعل هذا الجزء من ذلك الجسد الطاهر قد قطع ثم دفن. وهو لم يفن بعد..

نعود فنقول: لعل ذلك الكتابي قد حصل على بعض من سن لنبي كان ذلك النبي قد اقتلعه في حال حياته، ودفنه أو أوصى بعض من معه بأن يتولى دفنه، فوجده ذلك الشخص، أو أنه احتفظ به ولم يدفنه.
والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

أسئلة حول عائشة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

أرجو أن تصل هذه الرسالة إلى سماحة العلامة العاملي..

أنا صاحب موقع شيعة مصر ويوجد عندنا شبهة منتشرة مما أدى إلى فتنة كثير من الشيعة هنا، وأرجو رد سيادتكم وبتوقيع سيادتكم على هذه الشبهة لكي أنشرة في الموقع.. والشبهة هي: يقول بعض علماء السنة هنا: كيف أن الشيعة يقولون: إنه لا يجوز الدخول بالبنت قبل سن تسع سنوات مع أنهم يقولون: إن الرسول كان يريد الدخول بعائشة وهي في عمر ست سنوات ولكن بناء على طلب ورغبة أبي بكر لم يدخل بها الرسول إلا وهي في عمر تسع سنوات نرجو الرد؟!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

لا يقول أحد من المسلمين: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد الدخول بعائشة وهي في عمر ست سنوات..

بل يقول أهل السنة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عقد عليها وهي بنت ست سنين، ثم دخل بها وهي بنت تسع..

ولكننا قد أثبتنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» عدم صحة هذه الأقاويل، وقلنا: إن هناك قرائن تشير إلى أنها كانت أكبر من ذلك بكثير، بل قلنا: إنها كانت متزوجة بشخص آخر قبل زواجها بالرسول، وكان لها منه ولد اسمه عبد الله..

ولم نعرف الكثير عن مصير ذلك الولد، لأن السياسة قضت بتجاهله، وإنكار وجوده، لأن ذلك - بنظرهم - يضر بفضيلة أرادوا أن ينسبوها إلى عائشة، وهي أنه «صلى الله عليه وآله» لم يتزوج بكرة غيرها..

أما فيما يرتبط بمقدار عمرها، فقد قلنا في الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ما يلي:

سن عائشة :

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد عقد على عائشة، وهي بنت ست سنين، أو سبع، ثم انتقلت إلى بيته بعد هجرته إلى المدينة، وهي بنت تسع. وهذا هو المروي عنها(1).

ونحن نقول:

إن ذلك غير صحيح، وأن عمرها كان أزيد من ذلك بكثير، ونستند في ذلك إلى ما يلي:

أولاً: إن ابن إسحاق قد عد عائشة في جملة من أسلم أول البعثة، قال: وهي يومئذ صغيرة، وأنها أسلمت بعد ثمانية عشر إنساناً فقط(2).

(1) راجع فيما ذكرناه: الطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص39 والإصابة ج4 ص359 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص413 وتهذيب التهذيب ج12 وأسد الغابة ج5 وغير ذلك وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص190 لكنه ناقض نفسه ص191 فقال: إنها توفيت سنة 57 هـ. وعمرها 64 سنة، وهذا يعني: أن عمرها كان حين الهجرة سبع سنوات فقط.

(2) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج1 ص271 وتهذيب الأسماء واللغات ج2 ص351 و 329 عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن إسحاق، والبدء والتاريخ ج4 ص146.

ولعلها أسلمت قبل أن يسلم أبوها.

فلو جعلنا عمرها حين البعثة سبع سنين مثلاً فإن عمرها حين العقد عليها كان 17 سنة، وحين الهجرة 20 سنة.

ويؤيد ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا أكثر من ثمانين، وقد بقي جماعة لم يهاجروا، والهجرة إلى الحبشة كانت بعد خمس سنوات من البعثة.. فيكون إسلام عائشة التي أسلمت بعد ثمانية عشر إنساناً بعد البعثة بوقت يسير.

ومما يزيد الأمر وضوحاً أنهم يقولون:

إن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما أسلم أبي جاء إلى منزله، فما قام حتى أسلمنا، وأسلمت عائشة وهي صغيرة⁽¹⁾.

ونحن نشك في صحة قولهم: إن أبا بكر قد أسلم في وقت متقدم، فإنه قد أسلم بعد أكثر من خمسين، فالظاهر هو: أن إسلام بناته قد سبق إسلامه..

وقالوا أيضاً: إن أسماء أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً⁽²⁾.

(1) كنز الفوائد للكراچي ص124.

(2) عمدة القاري ج2 ص93 والإكمال للخطيب التبريزي ص148 وأسد الغابة ج5 ص392 وعن الإصابة ج8 ص12 - 13 والإستيعاب (ط دار الجيل)

وقد مائت سنة 73(1).

ج4 ص1783 وتهذيب التهذيب ج12 ص348 وتهذيب الكمال ج35 ص124 وإمتاع الأسماع ج6 ص203 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي الأنصاري اليمني ص488 ومروقة المفاتيح ج1 ص331 وتهذيب الأسماء ج2 ص597.

(1) إسعاف المبطل برجال الموطأ للسيوطي ص27 وعمدة القاري ج2 ص93 وج5 ص298 والمعجم الكبير ج24 ص77 وفيض القدير للمناوي ج1 ص102 وتاريخ مدينة دمشق ج69 ص8 و9 و10 و29 و30 وسبل السلام للكحلاني ج1 ص39 والإكمال للخطيب التبريزي ص148 وسير أعلام النبلاء ج2 ص295 وج3 ص379 والمستدرك للحاكم ج4 ص15 والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص249 و255 وتاريخ خليفة بن خياط ص269 والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج2 ص156 والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج4 ص228 و (ط دار الجيل) ص1782 وتاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص355 وتقريب التهذيب ج2 ص628 ومستدركات علم رجال الحديث للنمازي ج8 ص546 وأسد الغابة ج5 ص393 وتهذيب الكمال ج35 ص125 وشرح الزرقاني ج1 ص174 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال، والوافي بالوفيات ج9 ص36 ومروقة المفاتيح ج1 ص331 وتهذيب الأسماء ج2 ص597 وراجع: البداية والنهاية ج8 ص381 والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج2 ص502.

وقد بلغت أو جازوت المائة(1).

وإن حاول بعضهم أن يجتهد ويقول غير ذلك(2).

كما أنهم قد صرحوا: بأن أسماء ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين

(1) إسعاف المبطأ برجال الموطأ ص127 ومجمع الزوائد ج9 ص260 وج7 ص254 وعمدة القاري ج2 ص93 وج5 ص298 والمعجم الكبير ج24 ص77 وتاريخ مدينة دمشق 69 ص9 و10 و27 و28 وسبل السلام للكحلاني ج1 ص39 والإكمال للخطيب التبريزي ص148 وسير أعلام النبلاء ج3 ص379 وتاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص355 والبداية والنهاية ج5 ص381 وذيل المذيل لتاريخ الأمم والملوك ص108 والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج2 ص156 والإصابة ج4 ص224 والمستدرک للحاكم ج3 ص551 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج4 ص1783 وتقريب التهذيب ج2 ص628 وتهذيب التهذيب ج2 ص348 والتنبيه والإشراف ص271 ووفيات الأعيان ج3 ص69 و75 وأسد الغابة ج5 ص393 وتهذيب الكمال ج35 ص125 وشجرة طوبى ج1 ص124 والإمامة والسياسة ج2 ص24 و39 وشرح الزرقاني ج1 ص174 والوافي بالوفيات ج9 ص36 وتهذيب الأسماء ج2 ص597 والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج2 ص502 وشجرة طوبى ج1 ص124.

(2) سير أعلام النبلاء ج3 ص380 وتاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص354.

سنة(1).

- أو قبل مبعثه بسبع عشرة سنة(2).
وكانت أكبر من أختها عائشة بعشر سنوات(3).
وحين ولدت كان عمر أبيها إحدى وعشرين سنة(4).

- (1) مجمع الزوائد ج9 ص260 وعمدة القاري ج2 ص93 والمعجم الكبير ج24 ص77 وتاريخ مدينة دمشق ج9 ص69 وتهذيب الأسماء ج2 ص593 و 597 و 598 وأسد الغابة ج5 ص392 والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج2 ص156 والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص14.
(2) المعجم الكبير للطبراني ج24 ص77 وتاريخ مدينة دمشق ج69 ص9.
(3) الإستيعاب ج2 ص616 وتاريخ مدينة دمشق ج69 ص8 و 9 وتهذيب الأسماء ج2 ص593 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص204 وسير أعلام النبلاء ج2 ص295 وج3 ص380 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج1 ص82 وتهذيب التهذيب ج2 ص398 وسبل السلام للكحلاني ج1 ص39 والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص148 وتاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص354 والبداية والنهاية ج8 ص381 و 346 ومرواة المفاتيح ج1 ص731 وراجع: أسد الغابة ج5 ص392.
(4) مجمع الزوائد ج9 ص260 وتاريخ مدينة دمشق ج69 ص9 و 10 وسير أعلام النبلاء ج2 ص289 وتهذيب الأسماء ج2 ص597 و 598 والمعجم الكبير للطبراني ج24 ص77 وأسد الغابة ج5 ص392.

فتكون النتيجة هي: أن عمر عائشة على القول الأول حين البعثة حوالي أربع سنوات، إذ المفروض - حسب قولهم -: أنها ولدت قبل الهجرة بسبع عشرة سنة.

وعلى القول الثاني تكون ولادة عائشة قبل البعثة بسبع سنوات - أي قبل الهجرة بعشرين سنة..

غير أننا نقول:

بل كانت أكبر من ذلك أيضاً، إذ قد دلت الروايات على أن إسلام أسماء كان يوم إسلام أبيها، بعد سبعة عشر إنساناً، ثم أسلمت عائشة بعدها مباشرة، لأن إسلامها كان بعد ثمانية عشر إنساناً - كما قلنا أيضاً. فإذا كانوا يدعون أن أبا بكر كان أول من أسلم، فتكون النتيجة هي أن عائشة قد أسلمت في أول أو ثاني يوم من البعثة.

ومعنى ذلك: أن ولادتها قد كانت قبل البعثة بسنوات كبرت فيها عائشة، وأصبحت مميزة وعاقلة، ويقبل منها الإسلام.. وتدخل في لائحة المسلمين الأوائل لتأخذ موقعها التاريخي الذي يريدونه لها.

على أننا قد ذكرنا فيما تقدم: أن من المحتمل أن يكون بنات أبي قد أسلمن قبله، إذا أخذنا بنظر الاعتبار من أن أبا بكر قد أسلم بعد أكثر، من خمسين.

ثانياً: وفي مقام رفع التنافي بين قوله «صلى الله عليه وآله» لفاطمة: إنها سيدة نساء العالمين، وبين ما نسب إليه «صلى الله عليه وآله» من

أنه لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام(1).

يقول الطحاوي: «قد يحتمل أن يكون ما في هذا الحديث قبل بلوغ فاطمة، واستحقاقها الرتبة التي ذكرها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لها، إلى أن قال: وإن كل فضل ذكر لغير فاطمة، مما قد يحتمل أن تكون فضلت به فاطمة، محتملاً لأن يكون وهي حينئذٍ صغيرة، ثم بلغت بعد ذلك إلخ»(2).

لقد قال الطحاوي هذا، بعد أن جزم قبل ذلك بقليل، بأن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كان عمرها حين توفيت خمساً وعشرين سنة(3).

وهذا يعني أنها قد ولدت قبل البعثة بسنتين، والفرض: أن فاطمة

(1) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج2 ص137.

(2) مشكل الآثار ج1 ص52.

(3) مشكل الآثار ج1 ص47. وقد حمل بعض العلماء حديث فضل عائشة كفضل الثريد إلخ.. على المزاح منه «صلى الله عليه وآله» معها؛ لأن جوها لا ينسجم مع جو التفضيل كما في قوله «صلى الله عليه وآله»: فاطمة سيده نساء العالمين، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية إلخ.. ولا سيما بملاحظة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن من المهتمين بأمر الأئمة والذئذ منها ليأتي بها كمثال على تفضيل في أمر حساس كهذا.

كانت صغيرة حينما كانت عائشة بالغه مبلغ النساء.

ثالثاً: يذكر ابن قتيبة: أن عائشة قد توفيت سنة 58 هـ - وعند غيره سنة 57 هـ - وقد قاربت السبعين (1).. ولضم ذلك إلى ما يقوله البعض، من أن خديجة قد توفيت قبل الهجرة بثلاث، أو بأربع، أو بخمس سنين، ثم ما روي عن عائشة من قولها: تزوجني رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا بنت تسع سنين (2).

ولعل هذه الرواية هي الأقرب بقرينة ما قدمناه، ولكثرة الخلط بين كلمتي «سبع» و «تسع» بسبب عدم نقط الكلمات في السابق. بل إن هذا الرقم أيضاً مشكوك فيه لما تقدم، ولأن المرأة تميل إلى تقليل مقدار عمرها عادة.

فكلام ابن قتيبة والذي بعده يدل على أنها قد ولدت إما سنة البعثة أو

(1) المعارف لابن قتيبة (ط سنة 1390 هـ) ص 59.

(2) راجع: حديث الإفك ص 93 والجزء الثالث عشر من كتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» (الطبعة الخامسة). وراجع: كتاب المسند للشافعي ص 275 وسنن النسائي ج 6 ص 82 والسنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 280 والمعجم الكبير ج 23 ص 22 والفايق في غريب الحديث ج 2 ص 343 والمعارف لابن قتيبة ص 134 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 168 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص 60.

قبلها، وهذا الثاني هو الأرجح لما قدمناه. في المستند الأول والثاني.
 إذن، فيكون عمر عائشة حين عقد النبي «صلى الله عليه وآله»
 عليها في سنة عشر من البعثة أكثر من ست سنين بكثير، أي ما بين
 ثلاث عشرة إلى سبع عشرة سنة.

وأما بالنسبة لزواجها قبل الرسول فقد قلنا:

لم يتزوج بكرًا غير عائشة :

بقي أن نشير إلى الشك الكبير الذي يراودنا فيما ذكرته روايات
 الإفك، من أنه «صلى الله عليه وآله» لم يتزوج بكرًا غير عائشة.. وهو
 الأمر الذي لم نزل نسمع تردده على مسامع الناس، ويتبجح به محبوها؛
 مع أن ذلك موضع شك وريب، كما يظهر من ملاحظة ما يلي:

أولاً: ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله
 عليه وآله» ما يدل على أن السيدة خديجة قد تزوجها رسول الله «صلى
 الله عليه وآله» وهي بكر، وأنها من جملة الأرحام المطهرة التي انتقل
 عبرها نور الأئمة «عليهم السلام» إلى هذا العالم الدنيوي، إذ قد ظهر
 عدم صحة ما يدَّعونه، من أنها قد تزوجت قبل النبي «صلى الله عليه
 وآله» بأحد من الناس.

فلا تصح دعوى عائشة: أنه لم يتزوج بكرًا غيرها.

وربما يجد الباحث في حرص عائشة على إتحاف نفسها بهذا
 الوسام، وبغيره من أوسمة ثبت بطلان نسبتها إليها، وحرمان سائر نساء

النبي «صلى الله عليه وآله» من أية ميزة ثبتت لهن، ربما يجد في ذلك ما يبرر الشك في أن تكون عائشة نفسها ومحبوها وراء الشائعات الباطلة عن زواج خديجة «عليها السلام» بغير رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا أبو أسامة، عن الأجلح، عن ابن أبي مليكة، قال: «خطب النبي «صلى الله عليه وآله» عائشة إلى أبي بكر، وكان أبو بكر قد زوجها جبير بن مطعم، فخلعها منه، فزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهي ابنة ست سنين الخ..» (1).

فهو يصرح في هذا النص: بأنها كانت متزوجة برجل آخر قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يقدم على خطبة امرأة متزوجة، فإن هذا يعطينا: أن أبا بكر قد خلعها من زوجها، ثم عرضها على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأما أن عمرها كان آنئذٍ ست سنين، فقد أثبتنا أنه غير صحيح، بل كان عمرها حين تزوجها الرسول «صلى الله عليه وآله» حوالي

(1) المعجم الكبير ج 23 ص 26.

عشرين سنة، أو أكثر.

ثالثاً: قال ابن سعد: أخبرنا عبد الله بن نمير، عن الأجلح، عن ابن أبي مليكة، قال: خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عائشة إلى أبي بكر الصديق، فقال: يا رسول الله، إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير، فدعني حتى أسلها منهم، فاستسلها منهم، فطلقها، فتزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله»⁽¹⁾.

فهذا النص يصرح أيضاً بحدوث طلاقها بسبب: أن أبا بكر قد استسلها منهم.. وهو نص صريح لا مجال للمناقشة فيه.

وهو يدل على: أن الحديث عن خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» لها، غير صحيح، وإنما أريد به إعطاء امتياز لعائشة، إذ لا يمكن أن يقدم النبي «صلى الله عليه وآله» على خطبة امرأة متزوجة، أو لا يعلم أنها خلية.. فضلاً عن أن يسمع أباهما يقول: دعني حتى أسلها من جبير سلاً رفيقاً، ويرضى بذلك، فإن هذا ليس من خلق الكرام العاديين، فكيف بخلق سيد الأنبياء.

فالحديث عن طلاقها، ثم زواج النبي «صلى الله عليه وآله» منها،

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص59 والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص232.

يدل على ما ذكرناه: من أن هذا الطلاق كان سابقاً على تلك الخطبة، ويؤيد ذلك:

ألف: ما روي عن ابن عباس: قال: خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بكر الصديق عائشة، فقال أبو بكر: يا رسول الله، قد كنت وعدت بها، أو ذكرتها لمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، لابنه جبير، فدعني حتى أسلها منهم، ففعل، ثم تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكانت بكراً⁽¹⁾.

ويظهر من هذا النص وهو قوله: «ذكرتها لمطعم بن عدي.. لابنه جبير» أن أبا بكر هو الذي كان قد عرضها على مطعم، لابنه جبير..
الأمر الذي يجعلنا نظن - كما سيأتي -: أن أبا بكر أيضاً هو الذي سعى بطلاقها من جبير، ليزوجها من رسول الله «صلى الله عليه وآله». وربما يجد في نفسه أكثر من سبب ومبرر لذلك.

ب: إن نصوصاً أخرى تتحاشى التعبير بكلمة «تزوجها»، وتلجأ إلى التعبير بأنها كانت مسماة له، فسلها أبو بكر سلاً رقيقاً⁽²⁾.

وبعضها يكتفي بالقول: بأنها كانت تذكر لجبير بن مطعم، وتسمى

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص 58 والمحبر ص 80 و 81.

(2) أنساب الأشراف ج 1 ص 409.

له(1).

قال ابن الجوزي: «كانت مسماة لجبير بن مطعم، فخطبها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال أبو بكر: دعني حتى أسلمها من جبير سلاً رفيقاً. فتزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة الخ..»(2).

ج: والنص الآنف الذكر مقتبس من الرواية التي تقول:

إن خولة بنت حكيم جاءت إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فعرضت عليه التزوج بعائشة، وبسودة بنت زمعة، فقال لها: فاذهبي فاذكريهما علي، فأنت أم رومان، فأخبرتها بذلك، فقالت أم رومان: وددت.

ثم إنها لما كلمت أبا بكر قال لها: «وهل تصلح له؟! إنما هي ابنة أخيه؟! فرجعت إلى الرسول فأخبرته، فقال «صلى الله عليه وآله»: ارجعي إليه فقول له: أنت أخي في الإسلام، وأنا أخوك، وابنتك تصلح لي.

فأنت أبا بكر فأخبرته، فقال لها: انتظريني حتى أرجع.

فخرج، حتى أتى المطعم بن عدي، وإذا امرأته عنده، فقالت العجوز

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص190 وج14 ص22.

(2) صفة الصفوة ج2 ص15 والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج14 ص164.

له: لعلنا إن زوجنا ابننا ابنتك أن تصبئه، وتدخله في دينك!!

فقال أبو بكر لزوجها: ما تقول هذه؟!

فقال: إنها تقول ذاك.

فخرج أبو بكر وقد أذهب الله العدة التي كانت في نفسه من عدته التي وعدّها إياه فرجع، وقال لخولة: ادعي لي رسول الله، فدعته فجاء، فأنكحه(1).

د - عن ابن أبي مليكة: «قال أبو بكر: كنت قد أعطيتها مطعماً لابنه جبير، فدعني حتى أسألها منهم، فاستلبثها»(2). (لعل الصحيح: حتى

(1) راجع المصادر التالية: المعجم الكبير للطبراني ج 23 ص 23 و 24 وتاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الاستقامة) ج 2 ص 411 و 412 والمنتظم ج 3 ص 16 و 17 ومسند أحمد ج 6 ص 210 و 211 ودلائل النبوة للبيهقي (ط دار الكتب العلمية) ج 2 ص 411 و 412 وراجع: مجمع الزوائد ج 9 ص 225 و 227 و 226 عن الطبراني وتاريخ الخميس ج 1 ص 305 والسيرة الحلبية ج 1 ص 348 وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج 4 ص 381 و 382 عن أحمد والسيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 139 و 140 والسيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 142 و 143 و 14 عن أحمد والبيهقي والبداية والنهاية ج 3 ص 131 و 132 و 133 وسبل الهدى والرشاد ج 11 ص 165 و 166.

(2) الإصابة ج 4 ص 359.

أَسْأَلُهَا مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنَ).

وَفَسَّرَ الْبَعْضُ كَلِمَةَ «مَسَامَةَ عَلَى جَبِيرٍ»: بِأَنَّهَا كَانَتْ مَخْطُوبَةً لِابْنِهِ مِنْ أَبِيهَا(1).

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنَ النُّصُوصِ الْمَتَقَدِّمَةِ عِدَّةَ أُمُورٍ، هِيَ:

1 - لَا نَدْرِي: كَيْفَ يَبَادِرُ رَجُلٌ لِعَرْضِ ابْنَتِهِ عَلَى رَجُلٍ مُشْرِكٍ، وَقَدْ قَاطَعَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَحَصَرُوا هُمْ عِدَّةَ سِنِيٍّ، وَمَنْعُوا مِنَ التَّزْوِجِ مِنْهُمْ وَالتَّزْوِيجَ لَهُمْ. فَحَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ نَزَلَ مِنَ اللَّهِ نَهْيٌ عَنِ الْإِنْكَاحِ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (..وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ..)(2)، فَإِنَّ طَبِيعَةَ الْأُمُورِ تَقْضِي بِالْتَّرَفَعِ عَنِ الْقَبُولِ بِذَلِكَ، فَضْلاً عَنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهَا لَهُمْ، وَعَرْضَهَا عَلَيْهِمْ!!.

فَمَا مَعْنَى أَنْ نَقْرَأَ فِي الرِّوَايَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ: أَنَّهُ ذَكَرَهَا لِمَطْعَمٍ لِيَزُوجَهَا بِابْنِهِ جَبِيرٍ، أَوْ كَانَتْ مَسَامَةَ لَهُ، أَوْ أَنَّهُ أَعْطَاهَا لَهُ، أَوْ وَعَدَهُ بِهَا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ؟!.

2 - هَلْ كَانَ مِنْ عَادَاتِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ حَقّاً خُطْبَةُ بَنَاتِهِمْ سِنِيٍّ،

(1) راجع شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج4 ص381.

(2) الآية 221 من سورة البقرة.

ثم يكون العقد، ثم يكون الزواج؟! أم أن ذلك من خصوصيات عائشة التي يُدعى: أنها كانت صغيرة السن، وبعمر ست سنوات فقط!!
مع أن الصحيح هو: أن عمرها كان حوالي عشرين سنة أو أكثر من ذلك، حسبما حققناه في هذا الكتاب.

كما أننا نشك في: أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد تزوجها فور وفاة خديجة «عليها السلام»، لوجود ما يدل على أنه قد تزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين(1).. ويذكرون: أنه تزوج قبلها سودة بنت زمعة.

بل قال بعضهم: إن هناك رواية تقول: إنه تزوجها في السنة الثانية أو الثالثة من الهجرة(2).

3 - إذا كانت مسماة لجبير، أو معطاة له، أو أنه قد وعده بها، أو أنه كان قد تزوجها.. فكيف يخطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» امرأة هذه حالها، ويرضى بأن تطلق، أو بأن تخلع امرأة من زوجها؟!
 بل كيف يرضى بأن يسلمها أبو بكر حتى من خطيبها، المسماة له؟!
 فإن هذا أو أمثاله لا رضى به حتى الناس العاديون، فكيف بسيد الأنبياء

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص22.

(2) زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» لسعيد أيوب ص47.

والمرسلين، والذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق؟!

وقد حاول البعض أن يعتذر عن ذلك: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خطبها، لأنه لم يعلم بالخطبة، أو كان قبل النهي (1).

ولكنه اعتذار بارد، ورأي فاسد.. فإن النصوص قد ذكرت: أنه قد أخبره بأنه وعد بها، أو ذكرها لفلان، ثم استمهله ليسلها منهم.

أضف إلى ذلك: أن نفس هذا التصرف مما يدرك الناس خروجه عن حدود اللياقات على الأقل، فهو مرفوض حتى لو لم يرد نهى عنه.

4 - إن الروايات تصرح: بأن أبا بكر هو الذي عرضها على الزواج الأول، ثم تصرح: بأنه كان يسعى لاستلالها منهم، ويصرح بعضها: بأنه خلعها، أو طلقها.. مما يعني: أن أبا بكر كان شديد الحرص على التفريق بينها وبين جبير.

فإذا ضمنا ذلك إلى قولهم: إن أم رومان قد عبرت عن فرحتها بقولها: «وددت» ثم قول بعضهم: «وفي رواية: أن أبا بكر استلها منهم قبل أن تخطبها خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون لرسول الله («صلى الله عليه وآله»)» (2).

(1) راجع: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج4 ص381.

(2) زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» لسعيد أيوب ص47.

فإذا ضممننا بعض ذلك إلى البعض الآخر، فإننا نسمح لأنفسنا بأن نحتمل: بأن أبا بكر كان هو الذي أرسل خولة بنت حكيم إلى رسول الله.. وبأنه قد خلعها من ذاك وطلقها منه، ليفرضها على رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحاجة في نفسه قضاها.

5 - إن تلك الروايات تقول: إن أبا بكر قد تعجب من خطبة النبي لها، لتوهمه أنها لا تحل له لكونها ابنة أخيه.
ويرد عليه النبي «صلى الله عليه وآله»: بأن المراد بلا شك هو الأخوة في الإسلام والإيمان.

وحينئذ نقول:

هل كان أبو بكر يظن: أنه لا يجوز للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يتزوج ابنة رجل مسلم.. لأن المؤمنين إخوة؟! وهل هذا في رسول الله خاصة؟! ولماذا اختص به «صلى الله عليه وآله» دون عموم المؤمنين؟!

وإذا صح ذلك، فهو يعني: أن لا يجوز زواج أي مسلم من أي مسلمة، لنفس السبب..

أو هل كان يظن: أنه أخ للنبي «صلى الله عليه وآله» بما هو أبعد من أخوة الإسلام؟! وكيف؟!

6 - إن ظاهر الروايات المتقدمة تارة هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه قد جاء لخطبة عائشة.

وتارة أخرى: أنه أرسل خولة بنت حكيم، فقامت بالمهمة، ثم هياً أبو بكر الأمر وطلب منها أن تدعو الرسول «صلى الله عليه وآله» فدعته، فزوجه..

7 - إن هناك نصاً آخر يتحدث عن كيفية زواجه «صلى الله عليه وآله» بعائشة يفيد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى عائشة على أرجوحة، فأعجبته، فأتى منزل أبي بكر، ولم يكن حاضراً، فقالت له أم رومان: ما حاجتك يا رسول الله؟

قال: جئت أخطب عائشة.

قالت: إن عندنا يا رسول الله من هي أكبر منها.

قال: إنما أريد عائشة.

ثم خرج. ودخل أبو بكر. فأخبرته أمها بما قال رسول الله، فخرج، فزوجها إياه(1).

ويستوقفنا في هذا النص عدة أمور:

منها: مناقضته لسائر النصوص في أمور عديدة، تظهر بالملاحظة.

ومنها: أنه يكذب قولها: إن الملك قد جاء بصورتها إلى رسول الله

(1) أنساب الأشراف ج1 ص411.

«صلى الله عليه وآله» بسرقة من حرير.

رابعاً: ومما يدل أيضاً على أن عائشة كانت متزوجة قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» برجل آخر، ما يلي:

1 - لقد روى أبو داود وغيره بالأسانيد الصحيحة (1) عن عائشة: أنها قالت: يا رسول الله، كل صواحيبي (أو كل نسائك، أو كنيت نساءك فاكنني، أو) لهن كنى.

قال: فاكنني بابنك عبد الله.

قال الراوي: يعني عبد الله بن الزبير، وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر.

وكانت عائشة تكنى بأم عبد الله حتى ماتت.

أضاف أحمد والضعفاني، وأبو نعيم: قوله: ولم تلد قط (2).

(1) الأذكار النووية ص 295.

(2) سنن أبي داود ج 4 ص 294 بعدة أسانيد، والأذكار النووية ص 295 والمعجم الكبير للطبراني ج 23 ص 18 بعدة أسانيد، وكنز العمال ج 16 ص 424 ومسند أحمد ج 6 ص 107 و 213 و 151 وذكر أخبار إصبيهان ج 1 ص 315 و 93 والمصنف للضعفاني ج 11 ص 42 وسبل الهدى والرشاد ج 11 ص 18 وراجع: الغدير ج 6 ص 315 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص 64 و 63.

2 - وفي نص آخر: أنه قال لها: اكنتي بابنك، يعني عبد الله بن الزبير، فكانت تكنى أم عبد الله(1).

3 - وعنها قالت: كناني النبي «صلى الله عليه وآله» أم عبد الله، ولم يكن ولد لي قط(2).

4 - وقد حددت وقت تكنيتها بذلك، حيث روي عنها أنها قالت: لما ولد عبد الله بن الزبير أتيت به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتقل في فيه، فكان أول شيء دخل في جوفه، وقال: هو عبد الله، وأنت أم عبد الله.

أضاف ابن حبان قولها: فما زلت أكنى بها، وما ولدت قط(3). وما يهمنا من هذه الرواية هو العبارة الأخيرة، أما قولها: إنه «صلى الله عليه وآله» قد تقل في فم ابن الزبير، فنحن نشك، لأسباب

(1) الأدب المفرد ص125 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص164 وصفة الصفوة ج2 ص15 ومسند أحمد ج6 ص186.

(2) المعجم الكبير ج23 ص18.

(3) سبل الهدى والرشاد ج11 ص164 والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج16 ص54 و 55 وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج4 ص392 و 393 عن ابن سعد، وابن حبان، وقال: وله طرق كثيرة عنها، وراجع: معرفة علوم الحديث ص190.

ليس هنا موضع ذكرها.

5 - وفي نص آخر عنها: أنها قالت: يا رسول الله، كل نسائك لها كنية غيري، قال: أنت أم عبد الله(1).

6 - وحسب نص الحلبية: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعائشة: «هو عبد الله، وأنت أم عبد الله».

قالت: فما زلت أكتني به، أي وكان يدعوها أمًا، لأنه تربي في حجرها»(2).

7 - وروي تكنيها بأم عبد الله عن الإمام الصادق «عليه السلام» أيضاً(3) فراجع.

فقد دلت هذه النصوص على:

1 - أنه قد كان لعائشة ابن.

2 - أن اسم هذا الابن هو عبدالله. وقد كناها النبي «صلى الله عليه وآله» به.

(1) مسند أحمد ج 6 ص 186.

(2) السيرة الحلبية ج 3 ص 314.

(3) راجع: الخصال (ط سنة 1389 هـ طهران) ص 419 وبحار الأنوار ج 22 ص 194 والوسائل ج 14 ص 182 وتفسير نور الثقلين ج 4 ص 298.

3 - ثم جاء الرواة وقالوا: إن عائشة، حسب أقوالها هي، وأقوال محبيها كانت حين زواجها برسول الله «صلى الله عليه وآله» صغيرة السن.

4 - وقال الرواة أيضاً: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تزوجها بكرًا، مستنديين في ذلك أيضاً إلى أقوال عائشة نفسها، وإصرارها الشديد على ذلك.

ونقول:

إننا نسجل على ما تقدم الملاحظات التالية:

ألف: قد عرفنا في أجزاء هذا الكتاب السابقة:

أن **دعواها:** أن عمرها قد كان حينما تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ست سنين أو سبع.. غير صحيحة بل كان عمرها حوالي عشرين سنة، إن لم يكن أزيد من ذلك.

ويتأكد هذا الإشكال: إذا أخذ بنظر الاعتبار قولها: إن تكنيتها بأمر عبد الله كانت حين ولادة ابن الزبير، أي في أوائل الهجرة، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد تزوج سوى سودة بنت زمعة، وخديجة ولا تُعرف لهن أية كنية.

ب: قد عرفنا هنا أن دعواها: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تزوجها بكرًا لا تصح أيضاً..

ج: إن دعواها: أنها لم تتزوج أحداً غير رسول الله «صلى الله عليه وآله»

وآله»، لا تصح، بل هي كانت متزوجة برجل آخر هو جبير بن مطعم. وقد طلقته منه.

وفي نصوص أخرى: سلها أبو بكر منه سلاً رقيقاً..

د: إننا لم نجد لأي من نساء النبي «صلى الله عليه وآله» أية كنية سوى لـ «أم سلمة، وأم حبيبة، وزينب بنت خزيمة، أم المساكين»، فكيف تقول عائشة: إن جميع نسائه «صلى الله عليه وآله» لهن كنى. هـ: إنه قد كان لها ابن اسمه عبد الله.

و: إنها لم تلد من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قط. كما زعمت، وما ذكرناه فيما تقدم يدلنا على: أنه كان لها ابن من ذلك الذي كان زوجها وطلقها، ثم تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعده. ز: إن حصيلة ذلك هي: أن تطبيق كلمة «ابنك عبد الله» على ابن الزبير، ما هو إلا اجتهاد من الرواة، كما ظهر مما تقدم تحت رقم [1] حيث قال الراوي: «يعني عبد الله بن الزبير»، وقوله رقم [2]: اكنني بابنك، يعني: «يعني عبد الله بن الزبير».

كما أن بعض النصوص المتقدمة قد ذكرت تسمية النبي «صلى الله عليه وآله» لها بأم عبد الله من دون إشارة لابن الزبير كما في رقم [3] و [5].

وأما الرواية رقم [4] وكذلك رقم [6] فلا دلالة فيهما على وجود ربط بين تسمية المولود الذي جاءت به للنبي «صلى الله عليه وآله» بعبد

الله، وبين تكتيتها بهذا الاسم، سوى تشابه الاسمين.

التصرفات غير المقبولة:

وبناء على ما تقدم نقول:

لقد أصبح واضحاً: أنه لا مجال لقبول الروايات التي جعلت كلمة ابن الزبير من تنمة كلام الرسول، ولذلك فلا مجال لقبول روايتهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أنه قال:

ألف: اكتني بابنك عبد الله بن الزبير (1).

زاد الصالحي الشامي قوله: إن السبب في ذلك هو «أنها كانت استوهبته من أبيه، فكان في حجرها، يدعوها أما» (2).

(1) راجع: مسند أبي يعلى ج7 ص473 و 474 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج16 ص424 وج13 ص693 عن ابن سعد، والبيهقي، والحاكم، وأحمد، والطبراني، والآحاد والمثاني ج5 ص388 و 389.

وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص190 وج14 ص22 ومسند أحمد ج6 ص260 ومسند ابن راهويه ج2 ص310 والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج4 ص358 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص164 والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص66 وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج4 ص393 وزوجات النبي «صلى الله عليه وآله» لسعيد أيوب ص47 و 48.

(2) راجع: سبل الهدى والرشاد ج11 ص18 وراجع: شرح المواهب للزرقاني

ب: أو: اكتني بابنك عبد الله، فإن الخالة والددة(1).

ج: أو: تكني بابن أختك عبد الله(2).

د: قال بعض المؤرخين: «كنيتها: أم عبد الله. كناها النبي «صلى الله عليه وآله» باسم ابن أختها عبد الله بن الزبير»(3).

فإن زيادة كلمة «ابن الزبير» في النص الأول، وكلمة: «فإن الخالة والددة» في النص الثاني.. قد جاءت من قبل الرواة، إما جرياً على ما ارتكز في أذهانهم.. وإما تبرعاً عمدياً بهدف دفع الإشكال، لاقتناعهم بالروايات التي تتحدث عن صغر سن عائشة، وعن أنها كانت بكرة لم تتزوج قبله «صلى الله عليه وآله».

وأما الرواية الأخيرة: التي أقحمت كلمة «ابن أختك» فهي موضع شك كبير، بل إننا نرفضها ونردها، استناداً إلى الروايات الصحيحة المتقدمة التي صرحت: بأن التفسير قد جاء من الراوي، أو جاءت

ج4 ص393 عن ابن إسحاق وغيره.

(1) الأدب المفرد ص125 وسبل الهدى والرشاد ج9 ص363 عنه والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص66 وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج4 ص393 عن الروض.

(2) معرفة علوم الحديث ص190.

(3) تاريخ الخميس ج1 ص357.

بكلمة: «يعني» حسبما أسلفنا.

وإذا أردنا أن نحسن الظن، فإننا نقول:

إننا نحتمل احتمالاً قوياً أن يكون ثمة تصحيف لكلمة «جبير» بكلمة «زبير».. بسبب التشابه بين الكلمتين في مقام النطق، فيقع الخطأ في سماع الصوت بسبب اختلاط الحروف.

فلا معنى لإطلاق القول: بأن النبي قد كناها بأمر عبد الله بابن أختها ابن الزبير، كما فعله ابن الأثير مثلاً⁽¹⁾.

وخلاصة الأمر: أن الرواية واحدة في نصوصها وفي أسانيدھا.. وقد جاءت نصوصها الصحيحة بدون هذا التفسير. وصرحت: بأنه تفسير من قبل الرواة ولم يرد على لسان النبي «صلى الله عليه وآله». وأما ما ذكره الدياربكري وغيره، فهو لا يخرج عن السياق الذي أشرنا إليه، ولذا فإنه ليس له أية قيمة علمية، أو تاريخية.

عائشة لم يولد لها قط!!

والذي يحتاج إلى التنبيه عليه والإشارة إليه هنا: هو ذلك النص المتقدم، الذي تقول فيه: كناني النبي «صلى الله عليه وآله» أم عبد الله،

(1) راجع: أسد الغابة ج5 ص502 وغيره.

ولم يكن ولد لي قط(1).

وعن هشام بن عروة، عن بعض أصحابه قال: كنى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عائشة، ولم يولد لها قط(2).

وعلى أي تقدير، فإن دعوى أنها لم يولد لها قط، والتي جاءت من قبلها ومن قبل محبيها(3)، تحتاج إلى مزيد من التأمل والتدقيق، ونكتفي هنا بالإلماح إلى ما يلي:

أولاً: إن النفي المطلق لأن تكون قد ولدت يقابله قولهم: «وقيل: إنها ولدت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولداً مات طفلاً.

ثم قالوا: وهذا غير ثابت. والصحيح الأول، لأنه قد ورد عنها من طرق كثيرة(4).

وفي نص آخر: إنها أسقطت من النبي سقطاً، يسمى عبد الله، كانت

(1) المعجم الكبير ج 23 ص 18.

(2) المعجم الكبير ج 23 ص 19.

(3) راجع على سبيل المثال: فيض القدير للمناوي ج 1 ص 90 (ط سنة 1391 هـ

بيروت) والبداية والنهاية ج 5 ص 315 ومسند أحمد ج 6 ص 151.

(4) سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 164.

تكنى به. وهذا مروى عنها أيضاً بطرق كثيرة(1).

فهم إذن، يستندون إلى نفيها هي لهذا الأمر عن نفسها، وهو نفي يبقى موضع شبهة وريب، حيث يظن قوياً: أنها ومحبيها يسعون لإثبات الفضائل لها، وقد ظهر: أن تلك الفضائل غير قادرة على الصمود أمام البحث العلمي الموضوعي والرصين.

وقول السهيلي: إن ذلك لم يثبت، لأنه يدور على داوود بن المحبر، وهو ضعيف(2).. يقابله القول: إن الروايات الأخرى أيضاً تدور على عائشة، ومن يدور في فلكها كعروة بن الزبير وأمثاله.. وهي تجر النار إلى قرصها، وما أكثر الفضائل التي أثبتتها لنفسها، وأثبتها لها هذا الفريق الذي يهمله أمرها، ثم ثبت عدم صحتها.. وليس حديث الإفك إلا واحداً من هذه الأحاديث الموهومة.

ثانياً: إن قولها لم يولد لها قط - لو صح - فلا بد من حمله على أنها

(1) كذا قال الصالحي الشامي، فراجع: سبل الهدى والرشاد ج11 ص164 و 18 عن ابن الأعرابي في معجمه، والأذكار النووية ص295 و 288 وراجع: البداية والنهاية ج5 ص315 وج8 ص99 وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج4 ص392 وتاريخ الخميس ج1 ص358 والسيرة الحلبية ج3 ص314 والإصابة ج4 ص360.

(2) راجع: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج4 ص392.

لم يولد لها من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وبذلك يتم الجمع بين النصوص، ويرتفع التكاذب أو احتمالهما فيما بينها.. وعلى هذا تُحمّل النصوص التالية:

الأول: أن ابن عباس قال لها بعد حرب الجمل: «إنا جعلناك للمؤمنين أماء، وأنت بنت أم رومان. وجعلنا أبأك صديقاً، وهو ابن أبي قحافة، حامل قصاع الودك لابن جدعان إلى أضيافه».

فقلت: يا ابن عباس، تمنون علي برسول الله؟

فقال: ولم لا يمتن عليك بمن لو كان منك قلامة ظفر منه، مننتنا به، ونحن لحمه ودمه، ومنه وإليه. وما أنت إلا حشية من تسع حشايا خلفهن بعده، لست بأبيضهن لوناً، ولا بأحسنهن وجهاً، ولا بأرشدهن عرقاً، ولا بأنضرنهن ورقاً»⁽¹⁾.

ويستفاد من هذا النص الأمور التالية:

(1) بحار الأنوار ج 32 ص 270 ورجال الكشي (ط جامعة مشهد) ص 59 والدرجات الرفيعة ص 109 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص 229 ومعجم رجال الحديث ج 11 ص 249 ووسائل الشيعة ج 20 هامش ص 240 وجواهر المطالب في مناقب علي «عليه السلام» ج 2 ص 25 ومجمع النورين ص 266 ومواقف الشيعة مع خصومهم ج 1 ص 169 وج 2 ص 40 وأحاديث أم المؤمنين عائشة ج 2 ص 249.

1 - إنه يدل على وضاعة حال أبي بكر قبل الإسلام.. وأنه لم يكن له نصيب من المجد والسؤدد، لا في نفسه، ولا من خلال أبيه.. وكذلك كان حال أم رومان.

2 - إنه ينفي أن يكون لعائشة أي سبب من قبل رسول الله، يعطيها الحق بالمن به على الآخرين، لا من حيث ولادة الأولاد، ولا من أي جهة أخرى، لكنه لا ينفي حدوث سقط منها.

3 - إن عائشة لم تكن هي المميزة على نساء النبي في حسن الوجه..

4 - إنها لم تكن أبيضهن لوناً.

5 - إنها لم تكن أنضرهن.

الثاني: إنها حين وقعت في خديجة وذكرتها بسوء، وأن الله قد أبدله خيراً منها، قال «صلى الله عليه وآله»: ما أبدلني الله خيراً منها، لقد آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها، وحرمني ولد غيرها، أو حرمني أولاد النساء(1).

(1) راجع: الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج4 ص287 و 286 وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) (ط العثمانية) ص85 و (ط السعيدية بمصر) وص90 ومسند أحمد ج6 ص118 وراجع: الإصابة ج4

الثالث: إنها حينما تجرأت على خديجة فتنقصتها أمام فاطمة «عليها السلام»، فبكت، فسألها النبي «صلى الله عليه وآله»، فذكرت له سبب بكائها «عليها السلام»، قال:

«مه يا حميرا، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً، وهو عبد الله، وهو المطهر. وولدت مني القاسم، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم، وزينب، وأنت ممن أعقم الله فلم تلدي شيئاً»⁽¹⁾.

ويلاحظ: أنه لم يعش له أحد من ولده من خديجة سوى فاطمة «عليها السلام».

وأما رقية وأم كلثوم، وزينب، فقد قلنا: إن الظاهر هو أنهن قد متن في حال الصغر أيضاً، أما زوجتا عثمان، وزوجة أبي العاص فهن ربيبات له «صلى الله عليه وآله» على الظاهر ولسن بناته «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة.

ص283 وأسد الغابة ج5 ص438 وقاموس الرجال ج10 ص332 وبحار الأنوار ج16 ص12 عن كشف الغمة.
(1) الخصال ص404 و 405 وبحار الأنوار ج16 ص3 وشجرة طوبى ج2 ص233 ومستدرک سفينة البحار ج2 ص396.

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

الصرخي:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسله، وعباده الصالحين، لا سيما محمد وآله الطاهرين..

لماذا لا يخصص سماحة السيد «حفظه الله» جزءاً من وقته الشريف للرد على الدجال الصرخي، أليس الصرخي مشمولاً بالانحراف العقائدي وأنه يعمل على تدمير المذهب والطعن بالعلماء؟! وما هو رأي سماحة السيد بشبكة سيف المرجعية وردّها على الصرخي؟! الصرخي؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد..

فليس لدي معلومات كافية وموثقة عن هذا الرجل الذي يقال له: «الصرخي»، وأعتقد أن العلماء القريبين منه، والمطلعين على أفكاره أقدر مني على الرد عليه، لأنهم الأعرف بأموره.. ولديهم القدرة على

توثيق ما يحتاج إلى توثيق من أقاويله..

وأما بالنسبة لشبكات الإنترنت، فإنني أتأسف لعدم قدرتي على الاطلاع على أي منها مباشرة.. وأنا أدعو الله تعالى أن يسدد كل العاملين منهم ومن غيرهم على حفظ دينه، ورد شبهات أهل الريب، وأباطيل أهل الزيغ والباطل..

حفظكم الله ورعاكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله..

جعفر مرتضى العاملي..

برامج تلفزيونية

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

السلام عليكم سيدنا..

ما رأيكم ببرامج سماحة السيد كمال الحيدري في قناة الكوثر التي أنارت عقول الملايين من المسلمين وغيرهم؟!!

ولماذا لا يتم تكثيف هذه البرامج مع غير السيد كمال؟! مثلاً أنتم؟!!

والسلام عليكم، ونسألکم الدعاء..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد..

فإنني أضم صوتي إلى صوتكم في الثناء على جهود سماحة السيد كمال الحيدري «حفظه الله»، وأنا أدعو الله له بالتوفيق والتسديد.. وأن يكثر الله في المسلمين من أمثاله..

كما أنني أدعو دائماً إلى تكثيف هذه البرامج، وأن يتولاها العلماء الأعلام والإخوة الكرام من أهل الفضل والبصيرة، والحكمة والعلم..

أما فيما يرتبط بمشاركتي أنا شخصياً في أمثال هذه البرامج، فهي رهن بظروف وأوضاع، وحالات وانشغالات شخصية تحتاج إلى معالجة.. ولا أظن أن الأمر في ذلك يتوقف عليّ، أو يحتاج إليّ..

وأرجو أن يكتبني الله في جملة خدام الشريعة. الذين يتقبل الله أعمالهم.. والسلام عليك أيها الأخ الكريم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

جعفر مرتضى العاملي..

الهجوم على السيد فضل الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين..

سلام عليكم مولانا الحبيب الغالي وسيدنا سيد جعفر مرتضى،
مولاي، لقد سمعنا كلاماً من بعض من يدرس لديكم أو له علاقة ما بكم:
أن سماحة المرجع السيد علي الخامنئي أدام الله ظله، طلب منكم تخفيف
الهجوم على فضل الله، وقال لكم: إن هذه الهجومات على محمد حسين
فضل الله تسبب الفتنة بين الشيعة!!! هل هذا الكلام صحيح سيدي؟!
ولكم منا جزيل الشكر والاحترام والامتنان، وأدامكم الله في خدمة
دينه الحنيف..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله، وبعد..
فإن سماحة آية الله السيد الخامنئي حفظه الله لا يمكن أن يتوانى
في حفظ الدين وأهله، وهذا هو كل همه، وشغله الشاغل.. ولا يمكن أن
يمنع أحداً أو يطلب من أحد الامتناع من القيام بواجبه الشرعي في هذا

المجال، ولا في غيره.

ولا يمكن أيضاً أن يكون رأيه في من يسعى لحفظ الدين في عقائده وصيانة كل حقائقه: أنه هو الذي يثير الفتنة، فإن هذا تناقض لا يقع فيه أي من الناس المؤمنين، فكيف يمكن أن نتصور صدوره منه حفظه الله؟!!

على أن الوقائع قد أثبتت: أن الأمر ليس كذلك، فإن ما كان يجب القيام به من الناحية الشرعية، وهو الدلالة على الأخطاء العقائدية والإيمانية، وغيرها من قضايا الدين، قد حصل بالفعل على أكمل وجه وأتمه، ولم تحصل بسبب ذلك فتنة بين الشيعة، بل الذي حصل هو حفظ حقائق الدين.. وإقامة الحجة.. فلماذا هذا التهويل والتضخيم للأمور؟!!

وبعد.. فإننا نحن ننق كل الثقة بآية الله السيد الخامنـه إي، ويهـمنا الإستماع إلى نصائحه، ونرى: أنه واقف على أحوال المسلمين، عالم بالأخطار المحيطة بهم، مهتم بصيانتهم من كل مكروه، وإبعاد كيد المتربصين بهم.. ونرى: أن على كل المسلمين أن يعينوه في هذا الأمر المهم، في نفس الوقت الذي يجب عليهم فيه أن يقوموا بما أوجبه الله عليهم من الدفاع عن حقائق دينهم، وسيعينهم في هذا السبيل، كل مسلم مؤمن بربه، ملتزم بشرائعه، علماً بأن لكل ظروفه وواجباته، المتناسبة مع موقعه، وقدراته. فعليه أن يوظف تلك القدرات والطاقات، ويؤدي تلك الواجبات، متناغمة مع ما يقوم به غيره، سادّةً لنقصها، مقوية

لعجزها من النواحي التي لا تسمح له ظروفه بالتعرض لها.
حفظك الله ورعاك، وحشرنا وإياك مع أسيادنا وموالينا محمد وآله
الطاهرين..

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

هل هذا تقليد؟! :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

التقليد لازم على المكلف الذي يمكنه الوصول لإجابات ما قد يرد
عليه من إشكالات بالبحث في المصادر والكتب المعتبرة لعلماء ومراجع
في معظم ما يحتاجه دون تحديد مقلد بعينه بمعنى: أن معلوماته
الموجودة لديه سلفاً من مصادر متعددة ومع ما يبذل من متابعة وبحث
لما يجد عليه من أمور يريد الوصول لإجابة عنها..

هل يصلح ذلك لبراءة ذمته، علماً بأن ما يتوصل إليه يكون صحيحاً
ومطابق لأراء معتبرة؟!!

سألني سائل، وأريد الرد عليه، فهو مستبصر واسع الإطلاع
والثقافة والاهتمام بمذهب أهل البيت «عليهم السلام»، وإن كان لا يقلد

لأن أي مرجع لما حسبه وفهمه هو كما سبق وبينت في بداية كلامي..
وشكراً لكم..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين..
وبعد..

إن مجرد القدرة على جمع المعلومات من مصادر متعددة، لأناس
معتبرين، لا يكفي للحكم بجواز اكتفاء ذلك الشخص بما حصل عليه من
أجوبة، لأن ما سيحصل عليه إذا اختلف مضمونه، ولم يمكن الأخذ إلا
بأحد الأجوبة، فإن ترجيحه لهذا الجواب على ذاك سيكون بالميل القلبي،
والاستحسان العقلي، والذوق والمزاج. وقد روي عن الأئمة «عليهم
السلام»: أن دين الله لا يصاب بالعقول..

ولو عرضنا على هذا الشخص مسألة من قبيل ما ورد عنهم «عليهم
السلام»، من أن من قطع إصبع امرأة فديتها عشرة دنانير، فإن قطع
اصبعين، فديتهما عشرون، فإن قطع ثلاثة فديتها ثلاثون ديناراً، فإن
قطع أربعة فسنراه يبادر للقول: بأن ديتها أربعون ديناراً، مع أن دية
الأربعة هي عشرون ديناراً.

كما أننا لو عرضنا عليه مسألة قضاء الحائض للصلاة والصوم

سيبادر للقول: بأن قضاء الصلاة أولى من قضاء الصوم مع أن الأمر بالعكس.

على أن هذا الأمر لو جاز له، فلربما ينتهي به الأمر إلى مجموعة فقهية غير منسجمة، وغير مستندة إلى معايير ثابتة.. حيث إنه قد يأخذ اليوم بفتوى يكون مستندها عمل المشهور مثلاً، ويعمل غداً بمسألة لم يلتفت صاحبها إلى رأي المشهور، لأنه لا يراه حجة، أو يعمل بمسألة مستندها خبر مروي عن سهل بن زياد، ثم يأخذ بفتوى أخرى قد لوحظ فيها عدم الأخذ برواية سهل بن زياد..

نعم.. إذا امتلك هذا الشخص معايير الاستدلال من خلال دراسة معمقة لها، وظهرت لديه ملكة الاجتهاد الذي يخوله استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها، فإنه يصبح مجتهداً يجب عليه أن يعمل بما أدى إليه نظره كأبي مجتهد آخر.

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله..

ابتلاء أيوب × :

السؤال :

سلام من الله عليكم سيدنا الجليل..

سؤال: من المعروف أن من صفات الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين أن لا تكون صفاتهم الخلقية منفرة.

فكيف تفسرون المرض الذي أصاب سيدنا أيوب سلام الله عليه،
وهو البرص، وجعل الناس تنفر منه؟!
أليس هذا مما يتنافى مع صفات الأنبياء؟!
نرجو التوضيح.. والسلام، ونسألكم خالص الدعاء..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
أما بعد..

أخي الكريم:

لقد سألت عن ابتلاء نبي الله أيوب «عليه السلام» بالبرص، ونجيب
بما يلي:

إن الله تعالى حكى لنا قول أيوب، فقال: (وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ)(1).

وذكرت بعض الروايات عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن

(1) الآية 41 من سورة ص.

فضال، عن عبد الله بن بحر (محبوب ط)، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن أيوب قد أصيب في بدنه حتى وقع في بدنه الدود، فكانت تخرج من بدنه فيردها، وصار قرحة واحدة، ونتين ريحه حتى ألقاه أهل قريته على المزبلة خارج قريتهم⁽¹⁾، وفي بعض الروايات: أنه تشوه خلقه⁽²⁾، وفي تنزيه الأنبياء: أنه أصابه الجذام حتى تساقطت أعضاؤه⁽³⁾.

ولم أجد في الروايات أنه أصيب بالبرص..

وقد قال السيد المرتضى «رحمه الله»:

أما العلل المستقذرة التي تنقّر من رآها وتوحشه، كالبرص والجذام، فلا يجوز شيء منها على الأنبياء «عليهم السلام»، لما تقدم ذكره، لأن النفور ليس بواقف على الأمور القبيحة، بل قد يكون من الحسن والقبيح معاً، وليس ينكر أن يكون أمراض أيوب «عليه السلام»، وأوجاعه ومحنته في جسمه، ثم في أهله وماله بلغت مبلغاً عظيماً تزيد في الغم

(1) راجع: نور الثقلين ج 4 ص 463 والبرهان (تفسير) ج 6 ص 488 وبحار الأنوار ج 12 ص 342 وتفسير القمي، سورة ص.

(2) راجع:..

(3) راجع: بحار الأنوار ج 12 ص 349 وتنزيه الأنبياء للشيخ المرتضى ص 92 وقصص الأنبياء الجزائري ص 232.

والألم على ما ينال المجذوم، وليس ينكر تزايد الألم فيه، وإنما ينكر ما اقتضى التنفير (1).

وقال الطبرسي «رحمه الله» في مجمع البيان - بعد أن قال -: قيل: اشتد مرضه حتى تجنبه الناس، فوسوس لهم الشيطان: أن يستقذروه، ويخرجوه من بينهم، ولا يتركوا امرأته التي تخدمه أن تدخل عليهم -: وأهل التحقيق لا يجوزون أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها، لأن في ذلك تنفيراً، فأما المرض والفقر، وذهاب الأهل، فيجوز أن يمتحنه الله تعالى بذلك (2).

ويشهد لذلك: ما رواه الصدوق عن القطان، عن السكري، عن الجوهري، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، عن أبيه، قال «عليه السلام»:

«إن أيوب من جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا

(1) راجع: بحار الأنوار ج12 ص349 وتنزيه الأنبياء ص63 وقصص الأنبياء للجزائري ص232.

(2) راجع: تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج8 ص364 وتفسير الآلوسي ج23 ص208 وجامع الشتات الخاجوي ص43.

استوحش منه أحد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده.

وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج.

وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله»: أعظم الناس بلاء: الأنبياء، ثم الأمتل فالأمتل، وإنما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لنلا يدّعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظام نعمه عليه متى شاهدوه.

وليستدلوا بذلك: على أن الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق، واختصاص.

ولنلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه، وليعلموا: أنه يسقم من يشاء، ويشفي من يشاء، متى شاء، كيف شاء، بأي سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء، وشقاوة لمن شاء، وسعادة لمن شاء.

وهو عز وجل في جميع ذلك عدل في قضائه، وحكيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم، ولا قوة لهم إلا به(1).

(1) راجع: بحار الأنوار ج12 ص348 وج44 ص275 والخصال للصدوق ج2

قال الخاجوني عن هذه الرواية:

«هي المطابقة لما عليه إطباق المتكلمين من وجوب كون النبي منزهاً عن كل ما تنفر عنه الطباع، كالجذام والبرص، وسلس البول، والريح، وشبهها من الأمراض المنفرة كما صرحوا به في كتبهم الكلامية»⁽¹⁾..

وقال المجلسي «قدس سره»: «هذا الخبر أوفق بأصول متكلمي الإمامية، من كونهم «عليهم السلام» منزهين عما يوجب تنفّر الطباع عنهم، فيكون الأخبار الأخرى محمولة على التقية، موافقة للعامة فيما روه»⁽²⁾..

وقد ذكر المجلسي نفسه عدداً من أخبار العامة في ذلك فراجع⁽³⁾.

ص400 ونور الثقلين ج3 ص446 و 447 والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» للشيخ عبد الله البحراني ص520 وتفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج17 ص215 وقصص الأنبياء الجزائري ص31 - 232.
(1) راجع: جامع الشتات للخاجوني ص42.

(2) راجع: بحار الأنوار ج12 ص349.

(3) بحار الأنوار ج12 ص360 - 368 و 379 و 82 عن العرائس للثعلبي ص96 - 103.

لكنه «رحمه الله» تبع كلامه هذا بقوله:

«لكن إقامة الدليل على نفي ذلك عنهم مطلقاً، ولو بعد ثبوت نبوتهم وحجيتهم لا يخلو من إشكال. مع أن الأخبار الدالة على ثبوتها أكثر وأصح. وبالجملّة للتوقف فيه مجال» انتهى كلام المجلسي «رحمه الله» (1).

غير أننا نقول:

إن هذا الكلام غير مقبول، وذلك لما يلي:

أولاً: قال الخاجوي في جامع الشتات، عن أخبار نتن ريحه وغير ذلك مما تقدم:

«هي المشهورة بين الجمهور، حتى نقل مضمونها جامع قصص الأنبياء فيها، مع شيء زائد، فهي مع كونها مخالفة لقواعدهم، ومناقضة للأولى، ضعيفة بعبد الله بن بحر الكوفي، كما صرح به الغضائري، حيث قال: عبد الله بن بحر، كوفي، روى عن أبي بصير، ضعيف مرتفع القول.

وكذلك الحسن بن علي بن فضال الكوفي فطحي، وكان يقول بعبد الله بن جعفر قبل أبي الحسن «عليه السلام»، ثم رجع عنه على ما

صرح به الكشي.

فإذا لم يمكن جمعها مع الأولى، أو كان الجميع مؤدياً إلى ما لا يدل اللفظ عليه أصلاً وجب طرحها(1).

غير أننا لا نوافق الخاجوي على ما ذكره، من الطعن في الحسن بن علي بن فضال لا يوجب ضعف الخبر، بعد أن ثبتت وثاقة الرجل وجلالته، حتى عده بعضهم في جملة أصحاب الإجماع الذين يصح ما صح عنهم..

ثانياً: ونضيف إلى ذلك: أن ما ذكره المجلسي «رحمه الله»، من أن الأخبار الدالة على ما ذكرته رواية القمي أكثر وأصح، غير واضح، لأن هناك رواية صحيحة أخرى عن الصدوق عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن الحسن بن علي، عن داود بن سرحان، عن الإمام الصادق «عليه السلام» عن أبي عبد الله تذكر ابتلاء أيوب، في ماله وأهله وولده حتى مرض مرضاً شديداً، فأتاه أصحابه، فقالوا: يا أيوب، ما كان أحد من الناس في أنفسنا، ولا خير علانية خيراً عندنا منك، فلعل هذا لشيء كنت أسررتَه فيما بينك وبين ربك، لم تطلع عليه أحداً،

(1) راجع: جامع الشتات للخاجوي ص42.

فابتلاك الله من أجله؟!!

فجزع جزعاً شديداً إلخ.. (1).

فلم تذكر هذه الرواية سوى أنه «على نبينا وآله وعليه السلام» قد مرض مرضاً شديداً..

وفي رواية أخرى رواها الصدوق عن أبيه، عن سعد، عن البرقي، عن أبيه، عن عبد الله بن يحيى البصري، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي حسن الماضي.. ذكر تسليط إبليس على بدن أيوب (2)، ولم يصف أي شيء آخر.

وهكذا يقال بالنسبة لسائر ما روي عن الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»، فإنك لا تجد فيها ما يوجب الريب سوى روايات ثلاث هي التالية:

روايات يمكن تأويلها :

هناك روايات ثلاث تحتاج إلى بيان هي التالية:

1 - الصدوق عن ماجيلويه، عن عمه، عن البرقي، عن أبيه، عن

(1) راجع: بحار الأنوار ج 12 ص 350 و 351 عن قصص الأنبياء للراوندي ص 143.

(2) راجع: بحار الأنوار ج 12 ص 345 و 346 عن علل الشرائع ص 37.

ابن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: قال: إنما كانت بلية أيوب.. وذكر في آخرها: أنه تعالى قد سلطه على بدنه ما عدا عينيه، وقلبه ولسانه وسمعه.

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: فانقض مبادراً خشية أن تدركه رحمة الله عز وجل فيحول بينه وبينه، فنفخ في منخريه من نار السموم، فصار جسده نقطاً نقطاً⁽¹⁾.

2 - روي عن الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله «عليه السلام» ما ملخصه: أنه لما طال بلاء أيوب، ورأى إبليس صبره أتى إبليس أصحاباً له كانوا رهباناً في الجبال، فقال لهم: مروا بنا إلى هذا العبد المبتلى نسأله عن بليته.

قال: فركبوا وجأؤوه، فلما قربوا منه نفرت بغالهم، فقربوها بعضاً إلى بعض ثم مشوا إليه.

ثم تذكر الرواية قولهم له: لو أخبرتنا بذنبك، فلا نرى تبتلي بهذا

(1) راجع: علل الشرائع ص36 و 37 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص75 وبحار الأنوار ج12 ص344 و 345 وج60 ص200 و 201 وتفسير نور الثقلين ج3 ص447.

البلاء إلا لأمر كنت تسره(1).

3 - وروى علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبد الرحمن، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: قلت له:

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(2).

فقال: يا أبا محمد، يسلط الله من المؤمن على بدنه، ولا يسلط على دينه، قد سلط على أيوب «عليه السلام» فشوه خلقه، ولم يسلط على دينه، وقد يسلط من المؤمنين على أبدانهم، ولا يسلط على دينهم(3).

ونقول:

إن هذه الروايات لا تتناقض مع رواية عمارة عن الإمام الصادق «عليه السلام».. فأما الرواية الأولى.. فإن ظهور النقط في الجسد نتيجة مرض لا يعد من المنقرات، ولا يخاف الناس من الاقتراب من ذلك

(1) راجع: بحار الأنوار ج12 ص351 عن قصص الأنبياء.

(2) سورة النحل الآيتان 98 و 99.

(3) الكافي ج8 ص288 وشرح أصول الكافي ج12 ص404 وبحار الأنوار ج60 ص264 وتفسير نور الثقلين ج3 ص86 و 449 و تفسير الميزان ج12 ص351 وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج1 ص264.

المريض.

ولذلك تلاحظ: أن الناس لا يأبون عن ملامسة تلك النقاط وتحسسها، ولا يصيبهم أي قرف منه، أو شعور بالرغبة في الابتعاد عنه.

فهو كالأحمرار الذي يحدث للمحموم، أو كالمرض الذي يصيب الأطفال، حيث تظهر احمرارات على جسده تصاحبها دماميل صغيرة في مختلف مواضع الجسم.

فإن الذين يعيشون في محيط ذلك المريض، وكذلك غيرهم، والأطباء، وسائر الناس، لا يستقذرون المصاب بهذا النوع من المرض. وأما ما ورد في الرواية الثانية، فإن نفور البغال التي ركبها أولئك الناس قد لا يكون لأجل الرائحة الكريهة التي تجدها، فإن البغال لا تهتم لأمثال هذه الروائح..

ولو سلمنا ذلك: فإن الأمر إذا بلغ إلى هذا الحد، فإنه يصير فوق طاقة البشر أيضاً، فلماذا لم يحجم أولئك الرجال عن مواصلة سيرهم. كما أحجمت بغالهم؟!

يضاف إلى ذلك: أن نفور البغال قد يكون لشيءٍ رأته، فخافت منه.. ومع غض النظر عن هذا وذاك، فإن ضم بعض البغال إلى بعض لا يرفع الأثر الذي تحدثه الرائحة الكريهة، فلماذا عادت البغال إلى الإقدام بعد الإحجام إذن؟!

ولأجل ذلك كله نقول:

لو صح أن البغال أحجمت، فلعل ذلك جاء على سبيل الكرامة والمعجزة لأيوب، حتى إن البغال تمتنع عن حمل ومساعدة من يريدون الإساءة إليه «على نبينا وآله وعليه السلام».

وأما الرواية الثالثة: فإن تشويه خلق أيوب قد يكون بمقدار لا يوجب نفرة الناس منه، كما لو كان بمستوى الاحمرار بسبب الحمى، أو الجدري «الحصبة» التي تصيب الأطفال، فتظهر البقع الحمراء على أجسادهم لفترة وجيزة. ونحو ذلك..

فاتضح أن قول المجلسي «رحمه الله»: إن هناك روايات صحيحة تعارض رواية عمار عن الإمام الصادق «عليه السلام» لا يصح. إذ لا توجد رواية صحيحة تصلح لمعارضتها، سوى رواية القمي. وهي ضعيفة السند أيضاً.. كما أن سائر الروايات، إن لم نقل: إنها تؤيد رواية عمار، فإنها لا تؤيد رواية القمي يقيناً.. مع ملاحظة موافقة رواية القمي لعدد من روايات العامة، وهذا يدعو إلى الريب فيها، أو احتمال أن يكون قد وردت على سبيل التقية..

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

جعفر مرتضى العاملي

لماذا لا تترك الزوجة من العقار؟! :

السؤال :

ما حكم إرث الزوجة من الأرض والمبنى، وهل صحيح أنها لا تورث، وما العلة، أو العبرة في ذلك؟!

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد..

فإن الزوجة لا تترك من الأرض، ولكنها تترك من الشجر، ومن قيمة البناء، ومن النقد، وسائر الأصول..

أما العلة في ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى هو العالم بها، ولا سبيل لنا لإدراكها إلا إذا أخبرنا بها الله ورسوله..

وأما الحكمة.. فقد تكون متعددة، وفي أكثر من اتجاه، وقد ندرك بعضها، وقد لا ندرك شيئاً منها، وقد نخطئ فيما نعتبره حكمة، وقد نصيب، وليس المورد الذي نحن بصدده استثناء من هذه القاعدة، ولذلك اقتصرنا هنا على ما ورد عنهم «عليهم السلام»، معترفين: بأن ما يمكن استفادته منها أيضاً ليس على سبيل الحتم والحسم والجزم أيضاً..

كما أنه لا يمكن ادعاء أن ما نفهم منها هو كل الحقيقة، أو كل ما يمكن أن يفهم منها.

والروايات هي التالية:

أولاً: روى الصدوق بسنده، عن ميسر، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال:

«سألته عن النساء مالهن من الميراث؟!!

فقال: لهن قيمة الطوب والبناء، والخشب، والقصب. فأما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه.

قال: قلت: فالثياب؟!!

قال: الثياب لهن نصيبهن.

قال: قلت: كيف صار ذا، ولهن الثمن والربع مسمى؟!!

قال: لأن المرأة ليس لها نسب ترث به، إنما هي دخيل عليهم، وإنما صار هذا هكذا لئلا تتزوج المرأة فيجيء زوجها وولد قوم آخرين فيزاحم قوماً في عقارهم.

ثانياً: روى الصدوق بسنده عن محمد بن سنان: أن الإمام الرضا «عليه السلام» كتب لمحمد بن سنان فيما كتب من جواب مسأله:

«علت المرأة: أنها لا ترث من العقار شيئاً إلا قيمة الطوب والنقض، لأن العقار لا يمكن تغييره وقلبه، والمرأة قد يجوز أن ينقطع ما بينها وبينه من العصمة، ويجوز تغييرها وتبديلها. وليس الولد والوالد

كذلك، لأنه لا يمكن التفصي منهما.

والمرأة يمكن الاستبدال بها، فما يجوز أن يجيء ويذهب كان ميراثها فيما يجوز تبديله وتغييره إذا شبهها، وكان الثابت المقيم على حاله، لمن كان مثله في الثبات والمقام»(1).

ثالثاً: وعن السندي بن محمد، عن العلاء بن رزين، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، أنه قال: تراث المرأة من الطوب، ولا تراث من الرباع شيئاً.

قال: قلت: كيف تراث من الفرع ولا تراث من الرباع شيئاً؟

قال: فقال: ليس لها منهم نسب تراث به، إنما هي دخيل عليهم. تراث من الفرع ولا تراث من الأصل، لئلا يدخل عليهم داخل بسببها(2).

وقد أرشدتنا هذه الرويات الثلاث إلى أمور عديدة نذكر منها:

ألف: أشارت الرواية الأولى عن الإمام الصادق «عليه السلام» إلى أن المطلوب هو التحرز من إثارة العصبية والنعرات التي تتسبب بتفاسات عميقة في الأسر، وتمزقات في النسيج الاجتماعي تسوء إلى

(1) علل الشرايع (ط سنة 1430 هـ) ج2 ص752 وبحار الأنوار ج101

ص352 وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج2 ص98.

(2) قرب الإسناد ص27 وبحار الأنوار ج101 ص351 عنه

التماسك، وتحدث تصدعات واختلالات في البنية العامة، إن على المستوى العاطفي، أو التكافلي، الذي يسعى الإسلام إلى تقويته وتنميته. ولأجل ذلك جاءت هذه الأحكام، لكي لا تفسح المجال لزوج أو لابن المرأة - لو تزوجت شخصاً آخر وولدت له - لدخوله على قوم زوجها الأول، فيزاحمهم في أرضهم وعقارهم، لأن ذلك سيثير حفيظتهم، وينعش عصبيتهم العشائرية البغيضة، ويؤسس لنزاعات، وأحقاد، وتفسخات عميقة، وأمراض يبغضها الله تعالى ويمقتها في كل وقت وحين.

ب: أشارت الروايات إلى أن هذه العصبية ستكون مؤذية وغير قابلة للترميم أو التلافي كما أنها لا تملك العنصر المؤثر في تذويبها، ثم في إزالة آثارها وسلبياتها، فقد قال «عليه السلام» في الرواية الأولى والأخيرة: «لأن المرأة ليس لها نسب ترث به».

فعرفنا بذلك: أن الله تعالى قد اعتبر الخصوصية النسبية مرتكزاً في موضوع الارث، وفي توزيع الثروة حين الموت، لأن الموت حالة تنقطع معها الأسباب، التي تصنعها المبادرة والإختيار، والجهد الإنساني. ولا بد من تخطيها إلى إنشاء مرتكز آخر يصنع المبادرة من خلال الإختيار لكي تتبلور مرة أخرى من خلال الجهد الإنساني وسائل وأسباب لتحريك المال في نطاق انتاج المنافع وتسويقها في هذا الإتجاه أو ذاك.

وقد جاء اختيار هذه الخصوصية بالذات متناسباً مع الحركة الطبيعية للعلاقات التي تسهم في حفظ المجتمع الإنساني، وتناميته وتكامله ولها دور فعال في صيانتها من الإنهيار، من حيث إنها المنشأ لمسؤوليات ترعاها المشاعر الحميمة، والاعتبارات الرحيمة المؤثرة في تكريس الكفالات والرعايات، وتحمل النفقات، وسد الثغرات في مجالات مختلفة، تفرضها طبيعة الحياة في تحولاتها، وفي ما يستجد من ظروف.

وما ذلك إلا لأن صيانة المجتمع ورعايته تبدأ من هذه الخلايا الأسرية، والعائلية، والنسبية، ثم يربط كل واحدة منها بما يماثلها من سائر الفئات، بدأ بالعوائل، ثم القبائل، ثم المجتمعات الأكثر اتساعاً، وامتداداً، لتحقيق المزيد من الارتباط والتواصل على مساحات وامتدادات، قد تستوعب المجتمع الإنساني كله، ليكون مجتمع الإسلام، والمحبة والسلام.

ثالثاً: لقد ألمحت الروايات الثلاث المتقدمة، أو صرحت: بأن لهذا التشريع أصوله ومنطلقاته الواقعية التي تفرض نفسها وتحتم عليه مراعاتها، ليؤدي دوره في بلوغ الأهداف الكبرى، بالتناغم والانسجام التام، مع سائر مفردات المنظومة التشريعية في سائر المجالات.

وقد بينت بصراحة تامة: أنه لا بد من مراعاة خصوصية الثبات في التعامل مع الأمور الواقعية الثابتة، لا من حيث مراعاة الثبات والدوام في الأحكام المجعولة وحسب، بل مراعاة خصوصية الثبات في

متعلق ذلك الحكم أيضاً.

فإذا كانت العلاقة الزوجية لا ثبات لها، بل يمكن تغييرها وقلبها، وإيجادها وإلغائها وتبديلها بزوجة أخرى، فلا بد أن لا تلامس الأمور التي لا يمكن إحداث التغيير والقلب فيها.. وأن تبقى في منأى ومعزل عنها، فلا تؤثر فيها إثباتاً ولا نفياً ولا وجوداً ولا عدماً.

أما إذا كانت العلاقة من الثوابت التي لا تتغير بالأحوال، ولا تؤثر بها العوارض، كعلاقة الأبوة، والبنوة والأخوة، التي لا يمكن إلغائها، ولا التخلص منها، واستبدالها، فإن من الممكن الربط التشريعي والأحكامي بين علاقة الأبوة والبنوة الثابتة، وبين العقار الذي له هذه الخصوصية أيضاً.. نتيجة لهذا التناغم الإيجابي بينهما تثمر الأبوة مثلاً إرثاً في العقار، استناداً لتوفر عنصر الثبات في العقار، لأنهما متماثلين في خصوصية الثبات.

أما الزوجية فلا تثمر إرثاً في العقار، لاختلافهما في هذه الخصوصية بالذات..

سؤال يحتاج إلى جواب:

ويبقى هنا سؤال يقول:

إذا كان هذا هو الميزان، فلماذا يرث الزوج من زوجته من كل شيء حتى العقار؟! فإن عدم الثبات هذا إن منع المرأة من الإرث في العقار فلا بد أن يمنع الزوج من الإرث في العقار، الذي تتركه زوجته

أيضاً؟! وكما أنها قد تتزوج بآخر وتلد منه، فكذلك الزوج، فإنه قد يتزوج بعد موت زوجته بأخرى، ويولد له، ويدخلهم مع ورثتها من أهلها في عقارهم وأرضهم؟!!

ويمكن أن يجاب:

بأن الزوجة قد حصلت من زوجها على مهر، وعلى نفقة، فإن أخذ من العقار الذي تتركه زوجته المتوفاة، فإنما يأخذ مقابل ما أعطاه، بل لعل العقار الذي هو في حوزتها قد حصلت عليه من قبل الزوج نفسه، بصفة مهر أو نفقة، أو منحة يعطيها إياها، أو غير ذلك.

وإذا كان له منها أولاد، فقد يحتاج إلى المزيد من المال لينفق على أولاده وأولادها.. أما الزوجة فلم تقدم لزوجها شيئاً، لا بصفة مهر ولا بصفة نفقة، وإن ترك أولاداً منها أو من غيرها، فنفتهم ليست عليها، بل على جدهم لأبيهم، وهي إن تزوجت فنفتها على زوجها، وإلا فعلى أبيها أو أخيها.

وربما نستفيد هذا المعنى من الروايات أيضاً، فقد جاء في الرواية التي تذكر ما كتبه الإمام الرضا «عليه السلام» جواباً على مسائل محمد بن سنان، قوله:

«علة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث، لأن المرأة إذا تزوجت أخذت، والرجل يعطي، فلذلك وفر على الرجال. وعلة أخرى في إعطاء الرجل مثلي ما تعطى الأنثى، لأن الأنثى

في عيال الذكر إن احتاجت، وعليه أن يعولها، وعليه نفقتها. وليس على المرأة أو تعول الرجل، ولا تؤخذ بنفقتها إذا احتاج، فوفر على الرجل لذلك»⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن سنان: أنه قال لأبي عبد الله «عليه السلام»: لأي علة صار الميراث للذكر مثل حظ الانثيين؟! علة صار الميراث للذكر مثل حظ الانثيين؟!!

قال: لما جعل لها من الصداق⁽²⁾.

وفي رواية: أن ابن أبي العوجاء، قال للأحول: ما بال المرأة لها سهم واحد، وللرجل القوي الموسر سهمان؟!!

قال: فذكرت ذلك لأبي عبد الله «عليه السلام»، فقال: إن المرأة ليس لها عاقلة، ولا نفقة، ولا جهاد، وعد أشياء غير هذا.

وهذا على الرجال، فلذلك جعل لهم سهمان ولها سهم⁽³⁾.

وهذا يعطي: أن للإسلام نظرة شاملة ومحاسبات يراعي فيها الواقع الإنساني العام بغض النظر عن حالات الأفراد، ثم يكون التشريع الذي يراعى فيه التفاعل والنمو الإقتصادي، والآثار المختلفة على المسار

(1) علل الشرائع (ط 1430 هـ) ج 2 ص 350

(2) علل الشرائع (ط 1430 هـ) ج 2 ص 351

(3) علل الشرائع (ط 1430 هـ) ج 2 ص 351

العام.

ولكن كل ذلك لا يمنع من أن تتعرض بعض السنن للإستثناء بسبب هيمنة سنة أخرى عليها، من حيث إنها أقوى ملاكاً منها، أو أكثر اتساعاً، وأبعد أثراً منها في تحقيق الإنسجام بين النظام التشريعي والنظام الكوني.

فتصيب المرأة أكثر من الرجل في حالة بعينها لخصوصية اقتضت ذلك المورد، وجبر النقص على الرجل من مورد آخر.. إن كان هذا النقص يحتاج الى تدارك وهذا الأمر يحتاج إلى بحث واستقصاء، ومقارنات دقيقة..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

إلهين في نفس المكان؟! :

السؤال :

لقد اعترضتني عدة شبهات عقائدية في الآونة الأخيرة في التوحيد، فعمدت إلى البحث عن الأدلة العقلية والنقلية للوصول إلى الحق. وإني حتى الآن أجد الأجوبة عن جميع أسئلتني بحمد الله.. وقد علمت في بحثي أن الله عز وجل، لأنه قديم، وجب أن يكون قد وسع كل شيء، لأن كل شيء محدود بمكان هو محدث، لاحتمال انتقاله من مكان إلى آخر. لذلك

فإن الله واحد، لأنه إن وجد إله آخر أينما كان فهو مع الله في مكان وجوده.

ولكن لي سؤال هنا وهو:

ما هو المانع من وجود إلهين في نفس المكان؟!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

فإن موانع تعدد الآلهة كثيرة، فلاحظ على سبيل المثال:

أولاً: إن الله تعالى ليس له مكان، لأن حاجته إلى المكان تعني: أنه تعالى ليس غنياً بذاته.

ثانياً: إذا كان الله تعالى مكان، فلا بد من أن يكون المكان موجوداً قبله ليس هو الخالق لذلك المكان، بل الخالق له غيره، فلماذا لا يكون ذلك الغير هو الله تعالى؟! وإن كان المكان موجوداً معه، فمن الذي أوجده؟! وكيف وجد؟!!

ثالثاً: إن وجود إلهين في مكان واحد لا يمكن تصوره، لأن الضدين لا يجتمعان في مكان واحد، لأن التدافع بينهما يقتضي انعدام كل منهما ليوحد الآخر، وما يلزم من وجوده عدمه فهو محال.

رابعاً: إن الحاجة إلى المكان تقتضي التمايز والتغاير وهو يقتضي التجسيم الباطل.

إلى غير ذلك من محذورات لا مجال للإفاضة فيها في هذه العجالة.

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله..

الإمام المهدي وإكمال العقول:

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

في الكثير من الدراسات العلميّة التي درست من الفلسفة وعلم النفس طبعاً ليست دراسة حوزويّة الكثير من الأخطاء العلميّة الفادحة نظراً لارتباط العلم بحامله مما أدّى إلى التردّي والجهل المركّب وصلت الى قناعة أن من مقومات خروج الحجّة (أرواحنا له الفداء) اكتمال العقل؟!!

لهذا سؤالي هل يوجد لدينا حوزات فتحت الباب للعلوم الحديثة بالأيدي الشريفة المؤطرة دينياً لتتصدى لهذا الأمر على ما أعتقد هذا باب يجب بحثه بالجدية الكافية؟!!

أرجوا الجواب لحاجة ماسة؟!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

إن هذا السؤال مشوش وغير ظاهر المقاصد، ولكنني سأحاول تلمس مقاصده وأجيب بما يلي:

إن الأخطاء العلمية قد تكون موجودة في بعض مؤسسات الدراسة بما في ذلك الحوزوية والأكاديمية.. ولكنها نتيجة تقصير الأفراد المحدودي المعرفة، أو بسبب قصورهم في التدبر أو في التفكير، لا نتيجة خلل في الدين أو في الحقائق العلمية.

ولكن ذلك لا يمنع من التفكير تصحيح الخلل، وبذل الجهد للوصول إلى الحقائق والدقائق، في كل علم.. ولأجل ذلك كانت البحوث المتواصلة التي ترمي إلى تجنب الأخطاء، وإثراء المجال العلمي ورفده بكل جديد، تؤيده الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة.

وإن كان ثمة من ابتلي بالجهل المركب، فذلك بسبب تقصيره في التدقيق، أو قصوره في التحقيق، واتباعه من الأساليب الملتوية ما لا يليق بأهل العلم.

وأما بالنسبة لخروج الإمام الحجة أرواحنا فداه، وما يكون عليه حال الناس، فقد ورد: أنه حين يخرج يمسح على رؤوس الناس فتكمل

عقولهم(1).

وأما العلوم الحديثة، ففيها أيضاً الغث والسمين، والصحيح والسقيم، وهي ليست قادرة على التدخل لتصحيح العلوم الإنسانية التي يتداولها البشر منذ مئات وآلاف السنين، لأنها لا ارتباط لها بها.

وذلك لأن العلوم التجريبية، وإن كانت قد قطعت شوطاً لا بأس به، ولكنها لم تستطع أن تحلّ الكثير من مبهماتنا هي، فكيف تتمكن من حل معضلات العلوم الإنسانية؟!

كما أنها تشتمل على ادعاءات عريضة لعلها غير واقعية، وإنما هي نتيجة استقرارات ناقصة، أو حدسيات واحتمالات، لم تبلغ درجة اليقين، ولم تصبح حقيقة علمية، وإن ادّعوا أنها كذلك..

بل قد تكون العلوم الحوزوية وسائر العلوم الإنسانية - بسبب ثباتها، وتوفر عناصر الحقيقة فيها - هي الأقدر على تقديم خدمات جلّى لكثير

(1) راجع: الكافي ج1 ص25 وكمال الدين ص675 وشرح أصول الكافي ج1 ص301 وج5 ص326 وخاتمة المستدرك ج2 ص247 والخرائج والجرائح ج2 ص840 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص319 ومكيال المكارم ج1 ص274 منتخب الأنوار المضيئة ص352 ومختصر بصائر الدرجات ص117.

من العلوم الحديثة.

علي خير البشر:

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسله، وعباده الصالحين، لا سيما محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «علي خير البشر، فمن أبى فقد كفر».

ففي هذا الحديث الشريف: ما هي مرتبة «الكفر» الواردة في قوله «صلى الله عليه وآله»؟!

نرجو التفصيل، ودمتم سالمين..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

فقد روي عن علي بن إبراهيم القمي، عن أبي عمرو الزبيرى، عن

أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة وجوه.. فمنه كفر الجحود، وهو على وجهين: جحود بعلم وجحود بغير علم. فأما الذين جحدوا بغير علم فهم الذين حكى الله عنهم في قوله: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) .. وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ). فهؤلاء كفروا وجحدوا بغير علم.

وأما الذين كفروا وجحدوا بعلم، فهم الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم: (وَكَاثِلُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ). فهؤلاء كفروا وجحدوا بعلم.

ومنه: كفر البراءة وهو قوله: (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) .. أي يتبرأ بعضكم من بعض.

ومنه: كفر الترك لما أمرهم الله وهو قوله: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ) .. أي ترك الحج وهو مستطيع فقد كفر.

ومنه كفر النعم وهو قوله: (لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) .. أي ولم من يشكر نعمة الله فقد كفر، فهذه وجوه الكفر في

كتاب الله»(1).

وعن الامام الصادق «عليه السلام»، عن آبائه، عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «أدنى الكفر أن يسمع الرجل عن أخيه الكلمة ليحفظها عليه، يريد أن يفضحه بها. أولئك لا خلاق لهم»(2).

وروي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «من جدد الفرائض كان كافراً»(3).

وعنه «عليه السلام»: «إذا قال المؤمن لأخيه: أف، انقطع ما بينهما. فإذا قال له: أنت كافر كفر أحدهما»(4).

وقد روي أيضاً: ما يدل على كفر من سب علياً «عليه السلام» وغير ذلك(5).

روي أيضاً ما دل على كفر قتلة الحسين «عليه السلام»(6).

(1) تفسير القمي ج 1 ص 33 وبحار الأنوار ج 69 ص 92 و 100 وج 90 ص 60 .

(2) بحار الأنوار ج 72 ص 360

(3) بحار الأنوار ج 66 ص 19.

(4) بحار الأنوار ج 10 ص 102.

(5) بحار الأنوار ج 39 ص 111.

(6) بحار الأنوار ج 44 ص 299

وإن مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية.
وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أوصى علياً «عليه السلام»، فكان مما قال:

يا علي، كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة: القتات، والساحر والديوث، وناكح المرأة حراماً في دبرها وناكح البهيمة، ومن نكح ذات محرم منه، والساعي في الفتنة، وبائع السلاح من أهل الحرب، ومانع الزكاة، ومن وجد سعة فمات ولم يحج(1).

وتحدثت بعض الروايات عن ما يصير سبباً للكفر، ولو بوسائل متعددة، كالحسد، والحرص، والاستكبار(2).

وروي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال: بني الكفر على أربعة دعائم: الفسق، والغلو، (العتو)، والشك، والشبهة(3).

وهناك روايات كثيرة أخرى تدخل في هذا السياق.. وهي تدل: على أن الكفر يطلق على منكر الربوبية والإلحاد في صفاته تعالى.. وعلى

-
- (1) بحار الأنوار ج69 ص121 وج74 ص44 و 49 وج76 ص78 وج93 ص13 وج96 ص7 وج100 ص61 ج101 ص372.
(2) بحار الأنوار ج69 ص90 و 104 و 121 و 122
(3) بحار الأنوار ج65 ص383 وج69 ص117.

منكر الأنبياء والأوصياء، وعلى منكر ما أخبروا به من أمر المعاد وأمثاله..

ويطلق أيضاً: على من يعصي الله ورسوله.. وعلى من يكفر بالنعمة.. وعلى من لا يراعي الأمور المطلوب مراعاتها شرعاً في التعامل مع الآخر.

وقال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«الكفر صنفان:

أحدهما: الكفر بأصل الإيمان، وهو ضده.

والآخر: الكفر بفرع من فروع الإسلام، فلا يخرج عن أصل الإيمان»(1).

فالمراد بالكفر في الحديث الذي هو مورد السؤال: هو الكفر الناشئ عن عدم قبول الحقيقة التي قررها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حق علي «عليه السلام».

فإن كان هذا الإباء بمعنى العناد، أي أنه يحصل ممن يعرف فضل علي «عليه السلام» بقلبه، ويعترف به بلسانه، ولكنه لا يدين به، حسداً وبغياً، فهو كفر عناد.. وهو مصداق قوله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا

(1) بحار الأنوار ج 71 ص 245 وج 72 ص 164.

وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ(1).

وإن كان هذا الإباء ممن يعرف ذلك بقلبه، ويججده بلسانه، فهو كفر جحد، بشرط أن لا يبلغ إلى حد تكذيب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دون شبهة ولا تأويل، لكلامه «صلى الله عليه وآله».

وإن بلغ إلى هذا الحد، فإنه يتنافى مع الإيمان بالنبوة..

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

المشركون ودخول الجنة..

السؤال :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

السلام عليكم..

بالنسبة للمسيحيين، هل هم كفار أم مشركين؟!

وهل بشكل عام كل من هو غير مسلم في عصرنا الحالي سيدخل النار، لأن الدين عند الله هو الاسلام؟!

(1) الآية 14 من سورة النمل.

نرجو التوضيح وشكراً جزيلاً..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإننا نجيب بما يلي:

أولاً: بالنسبة لإعتبار المسيحيين كفاراً أو مشركين نقول:

لقد وصفهم القرآن الكريم بالكفر تارة وبالشرك أخرى، وقد ذكرنا عدداً من الآيات المتضمنة لذلك في إجابة أخرى، كما أننا قد ذكرنا ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»، حين ذكرنا مكاتبات النبي «صلى الله عليه وآله» للملوك. وذكرناه أيضاً في كتابنا: خلفيات كتاب مأساة الزهراء «عليها السلام».

ثانياً: بالنسبة لدخول غير المسلمين الجنة في عصرنا الحالي نقول:

لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

ألف: إن وسائل الاتصال، قد أصبحت متوفرة لأكثر الناس على امتداد الكرة الأرضية بأسرها، وقد سمع الناس وعرفوا أن ثمة ديناً اسمه الإسلام، وله اتباع قد يبلغون ربع أو خمس سكان العالم، وهم منتشرون في كل بقاع الأرض. كما أن من الممكن لكل الناس الوقوف

على اعتقاداتهم، وعلى شرعهم، والتعرف على كل شيء عنهم. من خلال وسائل الاتصال الحديثة، فلا حجة لأحد في تجاهل هذا الدين، فضلاً عن أن ينصب له العداء قبل أن يطلع عليه ويكتشف حقائقه، ويقف على تفاصيله ودقائقه.

ب: بالنسبة للسؤال عن دخول النصارى الجنة نورد للسائل الكريم ما ذكرناه حول هذا الموضوع في كتاب تفسير سورة هل أتى، وهو ما يلي:

إنه يمكن تقسيم الناس المخالفين للحق إلى عدة فئات وذلك كما يلي:

- 1 - الجاهل القاصر، أو الغافل، الذي لو علم لعمل سواء أكان من المشركين أو الملحدين.
- 2 - الجاهل القاصر أو الغافل من أهل الكتاب الذي يحب أن ينال رضا الله تعالى، ويحب أن يصل إليه، ولا عناد لديه.
- 3 - الجاهل القاصر أو الغافل من أهل الخلاف، الذي يعتقد أن ما هو عليه يوصله إلى الله، ولو علم أن غير ذلك هو الذي يوصله، لأخذه، وعمل به.

4 - الجاهل المقصر من الصنف الأول..

5 - ثم من الصنف الثاني..

6 - ثم من الصنف الثالث..

7 - إذا كان هذا الجاهل القاصر، أو المقصر من أهل الخلاف، واستشهد في سبيل الدفاع عن الدين بحسب اعتقاده.

فهل يدخل الجنة؟!!

مع وجود أحاديث تدل على أن من لا يوالي علياً «عليه السلام» فليس له في الجنة من نصيب، حتى لو صام نهاره، وقام ليله، وحج دهره؟!!

ولبيان حال هؤلاء الأصناف نقول:

الناس أصناف مختلفة، فمنهم:

أولاً: كتابي، أو مخالف، أو مشرك، ولكنه عالم مطلع، وملتفت، ومصر على ما هو عليه، كعلماء أهل الأديان الباطلة، وعلماء الفرق المختلفة.. أو كالذين رأوا الآيات الباهرة بأعينهم، كأبي جهل، وعتبة، وشيبة، وأضرابهم..

ثانياً: هناك كتابي، أو مخالف، أو مشرك، راض بما هو عليه، لا يقبل بأن يفكر، وأن يناقش، بحجة أنه لا يريد أن يشغل باله بمثل هذه الأمور، التي لا يرى أنها ذات أهمية، فهو يقدم راحة باله، وتفرغه لشؤونه على أي شيء آخر..

ثالثاً: هناك مشرك، أو كتابي، أو مخالف، يريد أن ينجو بنفسه من كل خطر، وهو مستعد لقبول الحق، والإلتزام به، والعمل بمقتضاه. ولكنه غافل عن وجود شيء سوى ما هو عليه..

كما لو كان يعيش في صحراء، أو في غابة، ولا يعرف ما وراءها..

رابعاً: وهناك من هو مستعد لقبول الحق، وعارف بوجود اختلافات بين الناس فيه، ولكنه عاجز عن الوصول إلى هذا الحق. إما لموانع قسرية انتهت بحجز حريته ضمن نطاق بعينه، أو لعدم قدرته الفكرية - في نفسه - على التمييز بين الحق والباطل، أو لوجود شبهات أو خدع أثرت على فهمه للأمور، ولو أنه اكتشف الزيف لرفضه، والتزم بالحق.

وبعد ما تقدم نقول:

إن من يكون عارفاً بالحق، لكنه يتعامى عنه، ويجحده، ويصر على الباطل، وهو القسم الأول، فلا ريب في أنه غير معذور، بل هو من الهالكين.. وهذا هو ما يحكم به العقل، ويقتضيه الحق والعدل.

ولو فرض أنه قد فعل ذرة من خير، فلا بد أن يكافئه الله عليها في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق.

وإن كان جاهلاً بالحق، وقد رضي بجهله، ولا يرضى بالنظر في الأمور رغم الطلب إليه، والإصرار عليه، كما هو الحال في الصنف الثاني، فإن كان هذا الشخص في دائرة الكفر والشرك، فلا مجال للبحث في أمر نجاته.

أما إن كان في دائرة الإسلام، ولكنه لا يعتقد بولاية الإمام علي «عليه السلام» من دون أن يصل إلى درجة الجحود، فلا بد أن ينظر في

عمل هذا الشخص، فإن كان فاسداً، لا يرضى الله تعالى به، ولا يقره عليه الشرع، بل هو عبارة عن جرائم وموبقات، فهو كسابقه..

وإن كان ذنب سابقه أعظم، بسبب جوده وطغيانه..

وأما إن كان عمله موافقاً للشرع الذي يدين الله به، فيمكن أن يتداركه الله سبحانه برحمته، لأجل شفاعته ولدٍ صحيح الإيمان، أو لأي سبب آخر. بحيث تفيد هذه الشفاعة في إفساح المجال له لتصحيح تلك الأعمال بعرض ولاية الإمام علي «عليه السلام» حتى في يوم القيامة، كما سيأتي في القسم التالي..

وأما من يكون غافلاً، أو عاجزاً عن الوصول إلى الحق، أو مخدوعاً، واقعاً تحت تأثير شبهة فيه، غير أن كل همه وسعيه هو الحصول على رضا الله والوصول إليه.. فإن حكم هذا القسم يعلم بملاحظة القاعدة التي تضمنتها الآية المباركة: (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (1)..

وقوله تعالى: (أَنْتَ لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى) (2)..

ثم بملاحظة ما هو ثابت من أنه لا يدخل الجنة إلا من أقر بالولاية

(1) الآية 7 من سورة الزلزلة.

(2) الآية 195 من سورة آل عمران.

لأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

أي أن عدل الله تعالى ولطفه يقتضيان أمرين قد يبدوان متخالفين:

أحدهما: أن لا يضيع عمل هذا الشخص.

والآخر: أن لا يدخل الجنة بدون إقرار منه بولاية الإمام علي وأهل

بيته «عليهم السلام».

ولكن الحقيقة هي: أن هذا التخالف والإختلاف صوري، وليس

بحقيقي، لوجود أحاديث ذكرت أن ولاية الإمام علي «عليه السلام»

سوف تعرض على نوع من الناس يوم القيامة. فمن قبلها، أصبحت

أعماله السابقة التي هي خير وصلاح، صالحة وقادرة على التأثير في

إدخال صاحبها الجنة، فولاية الإمام علي «عليه السلام» تكون بمثابة

الروح التي تدب في الجسد، فتعطي الحياة، والقوة، والحركة..

ولعل إلى هذا يشير قوله تعالى عن تبليغ ولاية الإمام علي «عليه

السلام»: (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ) (1).. فإن الرسالة في حقائقها،

وأحكامها، وكل مضامينها بدون ولاية الإمام علي «عليه السلام»،

تكون كالجسد بلا روح، فإذا حُلَّت الروح فيه تحركت اليد وصارت

تعطي وتمنع، وتبطلش، وتدفع، وتقرب وتبعد، وصارت العين ترى،

(1) الآية 67 من سورة المائدة.

والأذن تسمع، واللسان يتكلم، الخ..

وكذلك الحال بالنسبة لحقائق الدين والإيمان والشرعية، فإنها إنما تصير مفيدة ومؤثرة في تحقيق أهدافها، وفي الحصول على رضا الله تعالى بولاية علي «عليه السلام».

ونقرب الفكرة أيضاً، بالتمثيل بالإجازة في العقد الفضولي.. فإن الإيجاب والقبول، وجميع عناصر العقد متوفرة، فإذا أجاز المالك البيع لاحقاً، فإن تلك العناصر تؤثر أثرها، ويحصل النقل والانتقال، وتتحقق الملكية للثمن وللمثمن..

وعلى هذا الأساس نقول:

إن الذين يُقتلون في ساحات الجهاد، وكان حالهم في القصور والغفلة، حال هؤلاء، وكانوا يقاتلون في سبيل الله، لا لأجل الدنيا، وليس لإرضاء شخص، أو فئة، ولا تأييداً لخط انحرافي، أو طاعة لقوى الشر والضلال.. فإن عملهم يكون جاهزاً يوم القيامة، ولا يحتاج إلا إلى ولاية الإمام علي «عليه السلام»، فتعرض عليه فإن قبلها كانت هي الروح التي تدب فيه، وتحمل صاحبه إلى الجنة، وينال بذلك السعادة، وإن رفضها، فقد تمت عليه الحجة، ولا بد أن ينال جزاء جحوده لأمر الله سبحانه..

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله..

أهل الكتاب كفار أم مشركون؟!

السؤال :

إن الله تعالى قال في كتابه العزيز: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) .. وقال: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ..

فهل النصارى واليهود كفار، وهم مشركون بالله؟! قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) ..

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

فإننا نجيب بما يلي:

- 1 - هناك آيات قرآنية دلت على أن أهل الكتاب كفار..
- 2 - ووصفتهم بعض الآيات بالشرك أيضاً..
- 3 - وآيات أخرى دلت على أن كفرهم بسبب شركهم..
- 4 - وآيات دلت على أن كفرهم بسبب عبادتهم لغير الله..

فأما الطائفة الأولى، فلا حاجة إلى إفرادها بالذكر، لأن ذكر الطوائف الثلاث الأخرى، يغني عنها، منها قوله تعالى: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)..

فكلمة «من» هنا بيانية لا تبعية، إذ لو كانت تبعية لقال: «المشركون» بالرفع.

وأما الآية التي وصفتهم بالشرك، فقوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (1).

ومن الطائفة الثالثة: قوله تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ) (2).

فقد دلت على أن كفرهم كان بسبب شركهم، ولكنه تعالى عاد فجعل ذلك من مفردات عبادة ما لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، فقد قال تعالى: (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) (3).

إن فسرنا قوله: (مِنْ دُونِ اللَّهِ): بأن المراد عبادة من هو من دونه

(1) الآية 31 من سورة التوبة.

(2) الآية 73 سورة المائدة.

(3) الآية 76 من سورة المائدة.

على نحو الإستقلال والإنفراد عنه.

وقال تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(1).

ومن الطائفة الرابعة قوله تعالى: (قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)(2).

وقال تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)(3).

وقال تعالى: (اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(4).

وبعد.. فإن من الواضح: أن الله تعالى إذا كان لا يغفر أن يشرك به، فبطريق أولى لا يغفر لمن يعبد غيره، أو يرى غيره إلهاً دونه، أو لا

(1) الآية 30 من سورة التوبة.

(2) الآية 73 من سورة المائدة.

(3) الآية 73 من سورة المائدة.

(4) الآية 73 من سورة المائدة.

يعترف بوجود إله أصلاً.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

الشهيد..

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العلامة السيد جعفر العاملي أدام الله توفيقاته..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

سؤالي عن الشهادة في أيامنا.. فهل كل من قتل رمياً بالرصاص هو

شهيد من الشهداء الذين ذكرهم الله وينال درجاتهم؟!!

وهل إن قتل مؤمن قصداً في حادث سير مثلاً يعتبر شهيداً؟!!

وهل إن مات بريء في الحرب هو شهيد ويدخل الجنة بغض النظر

عن درجة إيمانه؟!!

وهل القيام بحرب مع دولة معادية من أجل تحرير سجين ارتكب

جرماً ما بنظر العدو يعتبر جهاداً في سبيل الله؟! مع اليقين أن هذه

الحرب ستوقع أضراراً فادحة ويقتل فيها الأبرياء، وليس الهدف الدفاع

عن الاسلام.. إنما من أجل تحرير هذا السجين؟!!

فهل هذا يعتبر جهاداً في سبيل الله؟! وهل من جاهد في الحرب

يعتبر شهيداً في سبيل الله؟! أم شهيداً في سبيل هذا السجين، أو حتى في

سبيل الوطن؟! إذ بقاء السجين في سجنه لم يكن ليضر الاسلام، كما أن تحريره لم ينقذ الاسلام، فهل هذا هو الجهاد الذي أوصى به الله تعالى؟! أولاً يتناقض هذا مع ما علمنا إياه الرسول «صلى الله عليه وآله» من خلال حروبه؟!!

وما وصلنا عن الإمام علي «عليه السلام» من أنه لم يكن يقتل العدو إذا كان غاضباً منه حتى يبرد غيظه، فيقتله فيكون قتله خالصاً لوجه الله؟! وأنه لم يرد على من اعتدى على الزهراء «عليها السلام» في بيتها وأمام عينه، وهي زوجته، وابنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وذلك كي يحافظ على دين الاسلام، ولا يتعرض لمن بقي من المسلمين.

أرجو منكم التوضيح، إذ لا أرى الاسلام وهو دين الرحمة والعدل يقضي بخراب بلد وتشريد وقتل أهله من أجل فرد لم يقدم للإسلام شيئاً لا قبل ولا بعد تحريره؟! فما بالك إن لم يكن هذا الفرد مسلماً أصلاً؟! أعذر منكم إذا أطلت عليكم.. وأرجو منكم التوضيح جزاكم الله خيراً..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله..

الأخ الكريم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنني أسأل الله تعالى لكم توفيقاً وتسديداً، وفضلاً وسؤدداً، وصحة وعافية، وسلامة في دينك وفي دنياك إنه ولي قدير..

أخي الكريم..

1 - هناك شهيد في ساحات الجهاد، وله أحكام خاصة، مثل أنه لا يغسل ولا يحنط ولا يكفن، بل يدفن بثيابه.. كما أنه لا يجب غسل المس على من مسه، بشرط أن يكون قد قتل في الجهاد مع الإمام «عليه السلام» أو نائبه الخاص، بشرط خروج روحه في المعركة، حين اشتعال الحرب، أو في غيرها قبل أن يدركه المسلمون حياً.

أما لو عثروا عليه بعد الحرب حياً، وبه رمق فمات فيها وجب غسله وتكفينه على الأحوط، وإن مات بعد إخراجه منها فيجب غسله وتكفينه على الأظهر.

ويلحق به المقتول في حفظ ببيضة الإسلام، فلا يغسل، ولا يحنط، ولا يكفن، إلا إن كان عارياً فيكفن.

2 - وهناك من هو بحكم الشهيد، بمعنى: أن له أجر الشهيد، وإن لم تجر عليه أحكامه.

فقد روي: أن من قتل دون ماله فهو بمنزلة الشهيد(1).

وروي عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «من قتل دون عياله فهو شهيد»(2).

وفي نص آخر عنه «صلى الله عليه وآله»: «من قتل دون مظلّمته، فهو شهيد»(3).

وعن الإمام السجاد «عليه السلام»: «من اعتدي عليه في صدقة ماله، فقاتل فقتل، فهو شهيد»(4).

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف»(5).

-
- (1) راجع: عيون أخبار الرضا ج2 ص124 والخصال ص607 وبحار الأنوار ج10 ص226 والكافي ج5 ص52 وتهذيب الأحكام ج6 ص167 ووسائل الشيعة ج15 ص122 و 49 وراجع: من لا يحضره الفقيه ج4 ص272.
- (2) تهذيب الأحكام ج6 ص157 وراجع: وسائل الشيعة ج15 ص120.
- (3) الكافي ج5 ص52 وتهذيب الأحكام ج6 ص167 ووسائل الشيعة ج15 ص121.
- (4) الكافي ج5 ص52 وتهذيب الأحكام ج6 ص166 ووسائل الشيعة ج15 ص122.
- (5) نهج البلاغة الحكمة 474.

وفي حديث عبادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعبد الله بن رواحة: سأل «صلى الله عليه وآله» أصحابه: «ومن الشهيد من أمتي؟!؟»!

فقالوا: «أليس هو الذي يقتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر؟!؟»!
فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن شهداء أمتي إذن لقليل، الشهيد الذي ذكرتم، والطعين، والمبطون، وصاحب الهدم والغرق، والمرأة تموت جمعاً».

قالوا: «وكيف تموت جمعاً يا رسول الله؟!؟»!
قال «صلى الله عليه وآله»: «يعترض ولدها في بطنها»⁽¹⁾.
والمراد بالطعين: من مات بالطاعون.

3 - وهناك طائفة ثالثة نذكر منها:

ما روي عن علي «عليه السلام»: «المؤمن على أي حال مات، وفي أي ساعة قبض، فهو شهيد»⁽²⁾.

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: «من مات على حب آل محمد

(1) دعائم الإسلام ج 1 ص 225 وص 226 وبحار الأنوار ج 78 ص 245.

(2) بحار الأنوار ج 65 ص 140.

مات شهيداً»(1).

وعن منهال القصاب: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: «ادع الله أن يرزقني الشهادة.

فقال «عليه السلام»: إن المؤمن شهيد، وقرأ هذه الآية: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ..)(2)»(3).

وعن الإمام الحسين «عليه السلام»: «ما من شيعتنا إلا صديق شهيد.. إلى أن قال «عليه السلام»: لو لم تكن الشهادة إلا لمن قتل بالسيف لأقل الله الشهداء»(4).

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: «من مات منكم على هذا الأمر شهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله»(5).

وقال الإمام الصادق «عليه السلام» لأبي بصير: «يا أبا محمد، إن الميت على هذا الأمر شهيد.

(1) بحار الأنوار ج65 ص137.

(2) الآية 19 من سورة الحديد.

(3) نور الثقلين ج5 ص244.

(4) بحار الأنوار ج79 ص173.

(5) فضائل الشيعة ص73.

قلت: جعلت فداك، وإن مات على فراشه؟!

قال: وإن مات على فراشه، فإنه حي يرزق»(1).

وعن علي «عليه السلام»: «من مات منكم على فراشه، وهو على معرفة حق ربه، وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله. وقامت النية مقام صلاته لسيفه»(2).

4 - وبعد ما تقدم نقول:

ألف: قد ظهر: أن هناك شهيد له أحكام خاصة كعدم الغسل والتكفين ونحو ذلك، وهناك شهيد ليست له هذه الأحكام، كالذي يجرحه الأعداء ثم يموت خارج ساحة المعركة، وكالذي يقتل بالسم أو بالسيف في المسجد كالإمام علي «عليه السلام» فإنهم شهداء..

وهناك من هو بحكم الشهيد.. وهناك من له أجر الشهيد، كالمؤمنين من شيعة أهل البيت «عليهم السلام».

ب: لا يوجد عاقل يدعي: أن كل من قتل بالرصاص فهو شهيد، من الشهداء الذين ذكرهم الله تعالى، فهناك من يقتل قصاصاً، وهناك من

(1) بحار الأنوار ج 65 ص 142.

(2) نهج البلاغة الخطبة رقم 190.

يقتل، وهو يسرق. وهناك من يقتل وهو يحارب المسلمين مع الأعداء.
فهل هؤلاء من الشهداء؟!!

ج: إن من يقتل ظلماً وعدواناً كيحيى بن زكريا «عليهما السلام»،
أو يقتل غيلة في المسجد كأمرير المؤمنين «عليه السلام»، أو يموت
مسموماً كالإمام الحسن «عليه السلام»، فإنه وإن كان لا بد من تغسيله
وتحنيطه، وتكفينه، ولكنه شهيد أيضاً، مع أنه لم يقتل في ساحة المعركة.
ملاحظة:

إن النبي والإمام تجري عليهم أحكام التغسيل ظاهراً، لا أنهم بحاجة
إلى التطهير، فهم طاهرون مطهرون، بل غسلهم مجرد أمر تكريمي
عبادي يجري حكمه عليهم.

د: وقد صرح علماؤنا: أن سمية والددة عمار بن ياسر، كانت أول
شهيدة مظلومة أيضاً.. والزهراء «عليها السلام» - كما ورد في الرواية
في الكافي أيضاً صديقة، شهيدة، مع أنها لم تقتل في ساحة المعركة.
وكان «صلى الله عليه وآله» يقول لأم حزام بنت ملحان: إنها شهيدة(1).
هـ: إن الحرب التي جرت في لبنان عام 2006 م. لم تكن من أجل
تحرير سجين.

(1) قاموس الرجال ج12 ص199 عن أسد الغابة، وأسد الغابة ج5 ص574.

أولاً: لأن العدو الإسرائيلي هو الذي أثار تلك الحرب..

ثانياً: إن هذا العدو يجب دفعه عن بلاد المسلمين، ولو لم يكن عنده أسير أصلاً.

وادعاء العدو: أن أحد المسلمين قد ارتكب جرماً لا قيمة له، ولا يبرر أسره له، ولا عدوانه على بلاد المسلمين، فإن الجرم الذي يدعيه عليه هو قتال له، وقتال العدو ليس جرماً. بل هو واجب وفضل وجهاد..

ثالثاً: إذا كان وجود هذا الأسير مع العدو يمثل إذلالاً للمسلمين، فلا بد من تحريره وكسر شوكة العدو، وقطع أطماعه من بلادهم، ومن التسلط عليهم.

و: إن الحرب ليست نزهة بل فيها خسائر، وربما تحصل فيها هزيمة؟! وربما.. وربما..

وهل الذين قتلوا من أصحاب علي «عليه السلام» في حربي الجمل وصفين لم يكونوا أبرياء، لأن علياً «عليه السلام» حسب نظر السائل لا يحق له أن يخوض حرباً يقتل فيها أبرياء؟! مع أنهم يقولون: إنه قتل من جيش علي «عليه السلام» في حرب صفين فقط خمسة وعشرون ألفاً..

ز: قلتم: ليس الهدف من هذه الحرب الدفاع عن الإسلام..

ونقول:

أولاً: هل اطلعتم على قلوب الناس، حتى عرفتم هدفهم الحقيقي المستقر في قلوبهم؟!!

ثانياً: إن الهدف من الحرب قد يكون الدفاع عن الأرض والعرض، وعن المسلمين. وهذا كاف في جوازها، إذا كانت ضد عدو محتل لأرض المسلمين..

ح: الجهاد في سبيل الدفاع عن أرض المسلمين مشروع. كما أن الجهاد دفاعاً عن كيان الإسلام وعزته مشروع أيضاً، فقد روي عن الإمام الرضا «عليه السلام» أنه قال عن الم رابط على الثغور ويقا تل فيها مع خلفاء الجور: «ولكن يقاتل عن بيضة الإسلام، فإنه في ذهاب بيضة الإسلام دروس ذكر محمد «عليه السلام» إلخ..(1). وبمعناه حديث آخر(2).

فهذا الحديث يعطي: أن المعيار هو حفظ الدين من الدروس. ويدلنا على أن جهاد العدو مشروط بعدم التهاون في دفع الشبهات التي قد يثيرها البعض حول حقائق الدين، لان التشكيك في حقائق الدين إذا حصل فهو أخطر وأشد فتكاً، وأعظم ضرراً، حتى من أشد الأعداء،

(1) قرب الإسناد ص345 و 346 وبحار الأنوار ج97 ص62 و 63 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص32.

(2) تهذيب الأحكام ج6 ص125 وعلل الشرايع ص603 والكافي ج5 ص21 ووسائل الشيعة (آل البيت) وبحار الأنوار ج97 ص22 و 23.

فلا بد من أن يتكامل الجهاد، وأن ويشد أحدهما أزر الجهاد في المحال الآخر..

ط: إن قولكم: إن بقاء السجين في سجنه لا يضر الإسلام غير صحيح، بل هو قد يضره، وتحريره قد يكون نافعا للإسلام من حيث أنه يكسر شوكة العدو، ويصدّه عن مواصلة بغيه.

ي: غير أن هنا شرطاً لا بد من رعايته، وهو أن لا يكون قتال العدو لتخليص أسير في يده بقيمة إفساح المجال لأهل الريب لتشكيك الناس في حقائق الدين، فإن استنقاذ الناس من براثن المشككين أوجب من استنقاذ أسير في يد الأعداء، وقد علّل ذلك في الروايات عن الامام الباقر والسجاد «عليهما السلام» وغيرهما من الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»: بأن استنقاذ الأسير المسكين من يدي المضللين له بقوله: «فإنه توفير الجنة عليه، وإنقاذه من النار. وذلك (أعني استنقاذ الأسير من أيدي الكافرين) توفير الروح عليه في الدنيا، ودفع الظلم عنه فيها. والله يعوض هذا المظلوم بأضعاف ما لحقه من الظلم، وينتقم من الظالم بما هو عادل بحكمه(1).

(1) بحار الأنوار ج2 ص9 و 10 والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص348 و 349.

وسئل الإمام الباقر «عليه السلام» حول إنقاذ الأسير من يد من يريد أن يضلّه بفضل لسانه أفضل من إنقاذ الأسير من أيدي أهل الروم، فقال «عليه السلام»: أخبرني أنت عمن رأى رجلاً من خيار المؤمنين يغرق وعصفورة تغرق لا يقدر على تخليصهما بأيهما اشتغل فاتته الآخر.. أيهما أفضل أن يخلصه؟!!

قال: الرجل من خيار المؤمنين.

قال «عليه السلام»: فبعد ما سألت في الفضل أكثر من بعد ما بين هذين، إن ذاك يوفر عليه دينه وجنان ربه، وينقذه من النيران، وهذا المظلوم إلى الجنان يصير⁽¹⁾.

ك: لا يجوز التفريط بالسجين والأسير حتى لو كان غير مسلم، وكان المعتدي عليه مسلماً، ويدل على ذلك قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: وهذا أخو غامد..

ويدل على ذلك: أن مواقف علي أمير المؤمنين «عليه السلام» تعتبر التجسيد الدقيق والحي لمفاهيم الإسلام، وأحكامه، وسياساته. والتاريخ يحدثنا: أنه حين بلغه «عليه السلام» إغارة خيل معاوية على

(1) بحار الأنوار ج2 ص9 و 10 والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص348 و 349.

بلاد المسلمين، خطب «عليه السلام» خطبة الجهاد المعروفة، وقد جاء فيها:

«هذا أخو غامد، وقد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها.

ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها، وقلبها، وقلائدها، ورعاتها⁽¹⁾ ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم؛ فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»⁽²⁾.

ونحن نسجل هنا ما يلي:

1 - إن هذا الموقف منه «عليه السلام» يوضح لنا قيمة الإنسان في الإسلام، واهتمامه البالغ في الحفاظ على موقعه، وعلى كرامته ووجوده. فمجرد كونه مخلوقاً بشرياً يماثل غيره من البشر في خلقه

(1) الرعات: جمع رعة: القرط، والحجل: الخلخال، والقلب: السوار.

(2) نهج البلاغة، بشرح عبده ج 1 ص 64 و 65 خطبة رقم 26 والأخبار الطوال ص 211 و 212 والغارات ج 2 ص 475 و 476 والمبرد في الكامل ج 1 ص 20 والعقد الفريد ج 4 ص 70 ومعاني الأخبار ص 310 وأنساب الأشراف (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 442.

يعطيه حقوقاً. فإذا اختار طريق الإيمان والعمل الصالح، أكرمه الله تعالى بحقوق أخرى تتناسب مع هذا الذي اختاره، وقد قال «عليه السلام» في عهده للأشتر: «فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»⁽¹⁾. ولذلك إنه حتى الرجل الأول في الدولة الإسلامية يعاني من الألم والأسى بسبب الاعتداء على كرامة الإنسان ما يجعل الموت أسفاً على ما جرى أمراً مقبولاً، بل يجعله هو الجدير واللائق به. ثم هو «عليه السلام» يقرر: أن هذا الحدث لا بد أن يؤثر بهذا المستوى أيضاً في كل إنسان مسلم، من كان ومهما كان.

2 - إنه يعطي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» - وهو الذي يمثل نظرة الإسلام الأصيلة - ينظر بعين المساواة إلى كل من هم تحت سلطته، أو تحت حمايته، فهو يتألم للمرأة كما يتألم للرجل، وهو يتألم كذلك للمعاهدة والتي هي على غير دينه، بنفس المستوى الذي يتألم فيه للمسلمة، وهو يطلب موقفاً حازماً تجاه الاعتداء على كرامتهما معاً من كل مسلم، بنفس القوة والفعالية والتأثير في رفع الظلمة وإعادة الحق إلى نصابه.

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص84 وبحار الأنوار ج33 ص600 وج74 ص241 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص32.

3 - إنه «عليه السلام» قد حاول إثارة الناس وتحريكهم بأسلوب عاطفي يلامس مشاعرهم وأحاسيسهم؛ فتحدث عن سلب المغيرين حلي النساء المسلمات والمعاهدات، وفي ذلك إثارة عاطفية، وتحريك لاشعوري للناس، الذين سوف يسوؤهم الاعتداء على هذا الموجود الذي يمثل جانب الرقة والحنان في المجتمع.

4 - إنه «عليه السلام» إنما توقع من المرء «المسلم» أن يموت أسفاً، واعتبره جديراً بذلك، وحريراً به.. ولعل هذا الأمر يشير إلى أن الإسلام هو ذلك الدين الذي يغرس في الإنسان معاني إنسانية، ويربيه تربية إلهية يحيا بها وجدانه، وتتنامى فيها خصائصه ومزاياه الإنسانية، فيصبح حي الشعور، صافي النفس، سليم الفكر، إلهي المزاج..

5 - كما ونجده صلوات الله وسلامه عليه.. قد أهدر دماء المعتدين، واعتبر أن أدنى جزاء لهم هو أن ينالهم كلم وجرح، وتهرق دماؤهم، رغم أن ما ارتكز عليه بيانه، وجعله منطلقاً له في تقريره هذا الجزء القاسي هو أمر لا يزيد على سلب الحجل والقلب والرعات من امرأة مسلمة وأخرى معاهدة.

وذلك لأن الميزان في العقاب إنما هو درجة الجرأة على الله وعلى المحرمات، ثم ما ينشأ عن ذلك من فساد وإفساد، في البلاد والعباد.

6 - إنه «عليه السلام» إنما ركز على الجانب الإنساني؛ فحاول أن يؤكد للناس لزوم نصره الضعيف، والدفاع عنه والحفاظ عليه، وأن ذلك

هو مسؤولية كل فرد قادر بالنسبة إليه.. وقد أثار انتباه الناس إلى جانب الضعف هذا حين قال: «ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام».. وليكن من ثم مبدأ نصرّة الضعيف والدفاع عنه من الأوليات التي يفرضها الوجدان الحي، والضمير الإنساني.

7 - ثم هناك الجانب التربوي، الذي يستهدف تركيز مفهوم العدالة في التعامل، فلا يفرق بين مسلم ومعاهد، ثم مفهوم عدم التغاضي عن المعتدين والمجرمين، وعدم التواكل في رد العدوان. إلى غير ذلك مما لا مجال لتفصيله هنا.

ك: إن عدم قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» لعدوه إلا بعد أن يبرد غيظه يدل على لزوم إخلاص النية في حرب الأعداء، ولا يدل على لزوم تركهم يسرحون ويمرحون. ولذلك حارب علي أعداءه، كما حاربهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقتل من جيش معاوية في صفين أربعون ألف قتيل.. وعشرات الألوف الأخرى في حرب الجمل وحروب النهروان..

ل: إنه «عليه السلام» قد بين سبب عدم رده على العدوان على بيته، وأنه لو تصدى لهم لذهب ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بالكلية..

م: إن استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» مع صحبه وأهل بيته في كربلاء يدل على أن الميزان هو التكليف الشرعي بحفظ الدين،

فيجب الانتهاء إليه، ولو لزم منه قتل الأولاد والأصحاب. كما أن حروب علي «عليه السلام» وحروب النبي «صلى الله عليه وآله»، وسكوت علي «عليه السلام» عن المعتدين على بيته، وعلى الصديقة الطاهرة «عليها السلام» يدل على ذلك.. وإن المعيار ليس هو كثرة الخسائر وقلتها، وقد قال تعالى: (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)⁽¹⁾.

ن: إن الدفاع عن الإنسان لا يشترط فيه: أن يكون ذلك السجين قد قدم شيئاً، وإلا فإن تلك المرأة المعاهدة التي تحدث عنها أمير المؤمنين «عليه السلام» لم تقدم شيئاً للإسلام والمسلمين، بل هي لم تكن مسلمة أصلاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

(1) الآية 104 من سورة النساء.

عرض ولاية أمير المؤمنين على الأنبياء :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد..

سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي دامت بركاته..

أنا ولدكم ..

بعد فترة من القراءات وتمحيص في عقائد أهل البيت «عليهم السلام» يمر علي ما قد يشكل على من هم مثلي أن يفهموه أو أن يتقبلوه لذلك أتوجه لكم بهذه الرسالة أولاً لكي أعلمكم أن الله تعالى قد سدني لولاية أهل البيت عليهم الصلاة والسلام بفضل جهود ذاك الشاب المتبصر بنور محمد وآل محمد، وعندي سؤال عن هذه الرواية أريد مساعدتك فيها:

وجدت في الكتاب الملقب بكتاب «المعضلات» رواية أبي طالب محمد ابن الحسين بن زيد قال: حدثني أبوه، ابن رباح - رفعه عن رجاله - عن محمد ابن ثابت قال: كنت جالسا في مجلس سيدنا أبي الحسن علي بن الحسين زين العابدين «عليهما السلام» إذ وقف به عبد الله بن عمر بن الخطاب..

فقال: يا علي بن الحسين، بلغني أنك تدعي أن يونس بن متى عرض عليه ولاية أبيك علي بن أبي طالب «عليه السلام» فلم يقبله،

فحبس في بطن الحوت؟!.

فقال له علي بن الحسين «عليهما السلام»: يا عبد الله، وما أنكرت
من ذلك؟!.

قال: إني لا أقبله.

فقال: أتريد أن يصح لك ذلك؟!.

قال له: نعم.

ثم قال له: اجلس.

ثم دعا غلامه، فقال: جئنا بعصابتين.

وقال لي: يا محمد بن ثابت، شد عين عبد الله بإحدى العصابتين،
واشدد عينك بالأخرى، فشددنا أعيننا فتكلم بكلام، ثم قال: حلوا أعينكم.
فحللناها، فوجدنا أنفسنا على بساط ونحن على ساحل البحر. فتكلم
بكلام فاستجابت له حيتان البحر إذ ظهرت بينهن حوتة عظيمة، فقال
لها: ما اسمك؟!.

فقالت: اسمي نون.

فقال لها: لم حبس يونس في بطنك؟!.

فقالت له: عرض عليه ولاية أبيك علي بن أبي طالب فأنكرها،
فحبس في بطني فلما أقر بها وأذن أمرت، فقذفته. وكذلك من أنكر
ولايتكم أهل البيت يخلد في نار الجحيم..

فقال له: يا عبد الله، أسمعت وشهدت؟!!

فقال: نعم.

فقال: شدوا أعينكم.

فشددناها فتكلم بكلام، ثم قال: حلوها.

فحللناها، فإذا نحن على البساط في مجلسه. فودعه عبد الله وانصرف، فقلت له: يا سيدي لقد رأيت في يومي عجا وآمنت به، فترى عبد الله بن عمر يؤمن بما آمنت به؟

فقال لي: أتحب أن تعرف ذلك؟!!

فقلت: نعم.

فقال: قم، فاتبعه وماشيته، واسمع ما يقول لك.

قال: فتبعته في الطريق ومشيت معه.

فقال لي: إنك لو عرفت سحر بني عبد المطلب لما كان هذا في نفسك، هؤلاء قوم يتوارثون السحر كابراً عن كابر.

فعند ذلك علمت أن الإمام لا يقول إلا حقاً.

(نور المعجزات لمحمد بن جرير الطبري ص 119)

سيدي الكريم:

كيف لولاية أن تعرض على نبي لم يكن في عهده أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكيف لهذا النبي أن يعصي الله في أحد أمره أن يتولاه،

ولماذا يعاقب الله نبي معصوم؟!!

ولماذا قام الإمام «عليه السلام» بهذه الكرامة من أجل إنسان معادي وهو يعلم أنه لا يتغير، وقد قام هذا الرجل بإلقاء تهمة السحر على الإمام عليه السلام؟

فهل تكون مثل هذه الرواية صحيحة، وإن كانت كذلك أرجو منكم مساعدتي على فهمها؟!!

ولكم مني كل الخير.. ولدكم..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسله، وعباده الصالحين، لا سيما محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

فقد سألت عن الحديث الوارد في كتاب المعضلات، لأبي طالب محمد بن الحسين بن زيد، عن ابن رباح، رفعه عن رجاله، عن محمد بن ثابت.. والذي ذكر ما جرى بين الإمام السجاد «عليه السلام» وعبد الله بن عمر فيما يرتبط بيونس بن متى «عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام».

وأقول مجيباً على سؤالك هذا، متوخياً الاختصار، والاقتصار على

الإشارة، سائلاً من الله التسديد للصواب:

1 - إن هذه الرواية قد وردت في بحار الأنوار عن مصادر أخرى، فراجع الهامش (1).

2 - في نص آخر: عن ابن معروف، عن سعدان، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن حبة العرنى قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض.. أقر بها من أقر، وأنكرها من أنكر.. أنكرها يونس، فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها (2).

وروى محمد بن أحمد معنعناً، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده [آبائه] قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن الله تعالى عرض ولاية علي بن أبي طالب «عليه السلام» على أهل السماوات وأهل الأرض، فقبلوها ما خلا يونس بن متى، فعاقبه الله، وحبسه في

-
- (1) بحار الأنوار ج46 ص39 و 40 وج62 ص218 و 219 وج61 ص52 و 53 وج14 ص401 و 402 عن مناقب آل أبي طالب ج3 ص281 ودلائل الإمامة ص92 عن كتاب العضلات، وأخرجه في البرهان ج4 ص37.
- (2) بصائر الدرجات ج1 ص165 و (ط الأعلمي) ص96 وبحار الأنوار ج14 ص391 وج46 ص39 وج26 ص282 ومدينة المعاجز ج2 ص34 وج4 ص301 وتفسير نور الثقلين ج4 ص433.

بطن الحوت لإنكاره ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» حتى قبلها.

قال أبو يعقوب: (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (1) لإنكاري ولاية علي بن أبي طالب «عليه السلام».

قال أبو عبد الله: فأنكرت الحديث فعرضته على عبد الله بن سليمان المدني، فقال لي: لا تجزع منه فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الخ.. (2).

3 - قد دل حديث حبة العرني والذي بعده على أن عرض الولاية هذا إنما كان في نشأة أخرى لا في هذه النشأة، ولعلها النشأة التي يعبر عنها بعالم الذر، فقد روى الصفار عن أحمد بن محمد ومحمد بن الحسين جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن بكير بن أعين قال: كان أبو جعفر «عليه السلام» يقول: إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر يوم أخذ الميثاق على الذر بالإقرار له بالربوبية، ولمحمد «صلى الله عليه وآله» بالنبوة، وعرض الله على

(1) الآية 87 من سورة الأنبياء.

(2) تفسير فرات الكوفي ص 264 و 265 وبحار الأنوار ج 26 ص 333.

محمد «صلى الله عليه وآله» أمته في الطين وهم أظلة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام وعرضهم عليه، وعرفهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعرفهم علياً «عليه السلام»، ونحن نعرفهم في لحن القول(1). وهنا روايات كثيرة أخرى تتحدث عن عالم الذر، يمكن مراجعتها.

4 - إن هؤلاء الصفوة، وهم محمد وآله الأطهار كانوا أنواراً مطيفين بالعرش قبل خلق الخلق بآلاف الأعوام.. يراهم الملائكة، ويراهم الأنبياء، ويتوسلون بهم، ولما خلق الله تعالى آدم حل نورهم في صلبه، فظهر شرفه، وامتاز مقامه، وسطع نجمه، وتبلور سر الله فيه، فاستحق أن يكون قبلة لسجود الملائكة كما ورد في بعض الروايات(2).

-
- (1) بصائر الدرجات ج1 ص191 و (ط الأعلمي) ص109 وبحار الأنوار ج26 ص120 و 121 والمحاسن للبرقي ج1 ص135 والكافي ج1 ص437 و 438 وتفسير العياشي ج1 ص180 و 181 وتأويل الآيات ج2 ص590.
- (2) المسائل العكبرية ص28 والمحتضر ص275 ومدينة المعاجز ج2 ص370 وبحار الأنوار ج11 ص150 وج26 ص327 والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ص219 والتفسير الصافي ج1 ص115 وتأويل الآيات ج1 ص44 وقصص الأنبياء للجزائري ص43 وينايع المودة ج1 ص288 وغاية المرام ج4 ص178.

كما استحقت الكعبة أن تكون قبلة للبشر يسجدون لله من خلالها لرس
أودعه الله فيها..

5 - ويمكن أن نستفيد من هذه النصوص، ونظائرها: أن السياسة
الإلهية مع أنبياء الله لجهة رفدهم بالمعارف هي: أن من المعارف ما
يحتاج إلى توقيف وتعليم مباشر منه تعالى..

ومنها ما لا يكفي فيها التعليم، بل تحتاج إلى المشاهدة أيضاً كما قال
الله تعالى في قضية الإسراء والمعراج: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)(1) .. ولم يكتف
بمجرد التعليم.

فتجري الأمور على قاعدة: (قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ
قُلُوبِي)(2) .. فإن مراتب اليقين تختلف وتتفاوت، فاليقين الذي يحصل من
مشاهدة عملية الإحياء أرقى من اليقين الذي يحصل من إخبار من تعلم
وتتيقن صدقه.

ومنها ما لا بد من الاعتماد المتعلم على نفسه في معرفته، من حيث
إن عليه إعداد نفسه، وزيادة قدراته وملكاته لنيله، فإذا أطاع المؤمن الله،
فإنه تعالى يمنحه قدرات خاصة، هي نتاج تلك الطاعة، وهي تتناسب مع

(1) الآية 1 من سورة الإسراء.

(2) الآية 260 من سورة البقرة.

ما لها من آثار وأبعاد، حتى يصبح المؤمن من خلال طاعاته مصداقاً للحديث القدسي: «عبدني أطعني تكن مثلي، تقول للشيء: كن، فيكون»(1).

وحتى يصل المؤمن إلى حد أنه ينظر بعين الله..

ومن الواضح: أن على الأنبياء إذا رأوا مقامات أهل البيت «عليهم السلام» وهم مطيفون بعرش الله أن يدركوا ويعرفوا: أن من لوازم بلوغ هذا المقام العظيم أن يكون لمن بلغه تأثير في هذا الوجود، منحه الله إياه من خلال ما عرفهم إياه من سنن، وأن على يونس وأمثاله إذا أراد نيل المقامات عند الله أن يتوسل بهم.. ولا يحتاج الأنبياء في إدراك ذلك إلى تعليم، بل هم يدركون هذه الحقيقة بأنفسهم، ومن خلال التربية الإلهية لهم (وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنِي)(2)، وهذه المعرفة يحصل النبي عليها منذ عالم الذر، ويتيقنها، ولكن التدرج في مراتب اليقين في المنشآت التالية قد يحتاج إلى وسائل تعليم غير معهودة، ولعل من وسائل التعليم التي

(1) مستند الشيعة ج1 ص6 والإمام علي للهمداني ص362 والفوائد الرجالية لبحر العلوم ج1 ص29 وراجع: الفوائد العلية ج2 ص394 والجواهر السنية 361 وبحار الأنوار ج102 ص165 وشجرة طوبى ج1 ص33 ومشارق أنوار اليقين ص10.

(2) الآية 39 من سورة طه.

يجريها الله في أنبيائه وأصفياه هو ما يعرضهم له من ابتلاءات وامتحانات، كما جرى لإبراهيم حين ابتلاه الله بكلمات فآتمهن، فاستحق مقام الإمامة.

وهذا بالذات ما جرى ليونس وأدم «عليهما السلام»، فإن الابتلاء الذي تعرضا له كان لأجل تجسيد ما رآياه في عالم الذر الذي ليس هو عالم تكليف، بل هو عالم تهيئة وإعداد، وإن كانت له آثاره في نشأة الحياة الدنيا بنحو أو بآخر.. فأراد الله تعالى أن ينقلهما إلى درجات يقين أجلّ وأكد وأعلى، من خلال الإبتلاءات التي عرضهما لها، لأن للابتلاءات أثرها في صقل جوهر النفس، وفي الكشف عن البصائر، ولذلك ابتلى الله أنبياءه، ومنهم يونس وأدم، وكذلك نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء في هذه الحياة الدنيا، لتتجسد لهما الحاجة العملية إلى الاستشفاع بأهل البيت «عليهم السلام»، والتوسل بهم على قاعدة: (أَوْكَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي)⁽¹⁾، وليعرفهما: أن الله قد منح أولئك الصفوة المطيفين بعرش القدرة قدرات، وجعل لهم درجات عالية في التأثير العملي في حركة الواقع. فلا بد من التوسل والاستشفاع بهم للحصول على ما لا يستطيع البشر العاديون الحصول عليه بأنفسهم.

(1) الآية 260 من سورة البقرة.

وبعد ما تقدم نقول:

لعل يونس حين رأى في عالم الذر مقامات أهل البيت «عليهم السلام»، المطيفة أنوارهم بالعرش، وتيقن أنهم الوسائل إلى الله في مهمات المسائل.. ولكنه حين بلغ هذه النشأة الحاضرة، فإن نيّله الرسولية في مقامتها الروحية السامية يحتاج إلى توفر على درجات أعلى من اليقين والتصديق العملي، ليكون إدراكه للحقائق أتم، والتفاعل مع السنن في أعلى مراتبها أوفى..

فالمراد بإنكار يونس في عالم الذر ليس هو الرفض، والإباء عن الاعتراف، وإنما المراد به أحد ثلاث احتمالات:

الأول: أن يكون المراد: أنه حصل على معرفته بصورة ذهنية عقلية وتجريدية، ويحتاج في النشآت اللاحقة إلى تأكيد هذه المعرفة بصورة عملية، وتلمس عظمة مقاماتهم من خلال الإبتلاءات التي تجعله يشعر بالحاجة إليهم.

الثاني: أن يكون المراد: أنه حين رأى مقاماتهم تمنى أن يكون هو مثلهم، وحين خاض التجربة في هذه النشأة أدرك - عملياً - حاجته إليهم، فإن هذا التمني معناه: أنه قد أنكر عملياً: أن هذه المقامات التي رآهم فيها هي من خصائصهم، والتي يعجز عنها كل من عداهم.

الثالث: عدم الالتفات في البداية إلى ما لهم من دور عملي حقيقي وعميق وأساس في هذه الحياة، ثم عرف ذلك بصورة عملية من خلال

الإبتلاءات، وتؤكد إحساسه بالحاجة الفعلية لهم، فاستحق المقام الذي منحه الله إياه، فتوافقت المعرفة العملية مع المعرفة النظرية السابقة التي تجردت عن إدراك لوازم مقاماتهم، التي هي اختصاصهم بأمر لا يبلغها غيرهم.. وإنما حصل على هذه المعرفة التفصيلية من خلال ما تلقاه من معارف بالطرق العادية المتمثلة بالإبتلاءات وغيرها..

6 - ولعل هذا المعنى هو الذي قصده العلامة المجلسي «رحمه الله» حين قال معلقاً على الحديث المتقدم عن الإمام زين العابدين «عليه السلام»، وما أخبر به «عليه السلام» عن يونس «عليه السلام»، وعن مكنون ضمير عبد الله بن عمر..

«المراد بالإنكار: عدم القبول التام، وما يلزمه من الاستشفاع بهم «عليهم السلام»، ففرج الله تعالى عنه».

أي وهذا كتوسل نوح بهم «عليهم السلام» فأنجاه الله تعالى ومن معه من الغرق، وكتوسل آدم بهم، ففرج الله تعالى عنه، وأكرمه، واصطفاه.. وكتوسل إبراهيم بهم، فجعل الله نار النمرود عليه برداً وسلاماً.

7 - وقد ظهر مما تقدم: أن ما جرى ليونس «عليه السلام» لم يكن عقوبة بالمعنى المتعارف، بل كان ابتلاء يقصد به تعريفه على أثر تلك الموجودات العالية في هداية الخلق إلى الله، وفي سعادتهم في الدنيا والآخرة.. ولا بد أن يتم ذلك بصورة عملية، بأن يتلمس ذلك بنفسه تماماً

كما تلمسها إبراهيم حين أتم الكلمات التي ابتلاه الله بها في قوله تعالى: **(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)**(1).. وكان من تلك الكلمات: أمره بذبح ولده أيضاً.

فالمطلوب هو تجسد ولايتهم «عليهم السلام» على صفحة الوجود، بحيث يشعر بها يونس ونوح وإبراهيم وسائر الأنبياء «عليهم السلام» وبآثارها في أنفسهم، وبحاجتهم إليها بصورة عملية.

وأما التعبير الوارد في الرواية بقوله «عليه السلام»: «فرفضها يونس»، فيراد به ما يساوق قوله تعالى: **(فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)**(2)، فإن الإباء هو ظهور العجز العملي له، أي أن الابتلاء الذي يوفر له المزيد من الطاقة والقدرة على التحمل قد أظهر: أنه غير قادر على نيل مقاماتهم التي تجعله قادراً على الإستغناء عنهم.

فالإباء إباء تكويني بسبب فقد القدرة، التي لا يدرك يونس، فقدها عملياً بدون الابتلاء، فلم يكن يونس بصدد جحود مقاماتهم «عليهم السلام»، بل كان يسعى للوصول إليها، فأدرك عجزه عن ذلك بصورة عملية.. تماماً كما جرى لآدم حسبما أوضحناه في كتابنا: براءة آدم

(1) الآية 124 من سورة البقرة.

(2) الآية 72 من سورة الأحزاب.

«عليه السلام».

8 - أما السؤال عن إظهار الكرامات لمن يجحد الحق، فجوابه: أن هذا ليس عبثاً، بل هو لتبصير الآخرين بالحقائق، لكي تتم الحجة عليهم، ولا يغتروا بالمظاهر الخادعة، تماماً كما كان موسى «عليه السلام» يظهر الآيات لفرعون، وهكذا كان حال الأنبياء «عليهم السلام» مع الجاحدين والمستكبرين..

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله.. جعفر مرتضى
العالمي..

السؤال :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد..

سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي (حفظه الله)..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أما بعد..

إن الدلائل والإمارات تزداد يوماً عن يوم، وتثبت في نفسي صدق اعتقادي، فكل ما هو حولي يدلني على نور محمد وآل محمد، فهذا الشيخ الذي كنت قد ذكرته لكم حين استبصرت بعد أن خرس على أثر سبه للأئمة الأطهار «صلوات الله عليهم أجمعين»، ما زال لا يستطيع أن يتكلم، مع أن الأطباء يقولون: إن لا شيء عضوي يمنعه من الكلام، لكن كل ذلك من الله تعالى ليعذب ذلك الرجل في الدنيا والآخرة، لأن الله ساق له الحق ومع ذلك فقد رفضه، ويستمر في غلوه إلى الآن..

سيدي الكريم.. أريد أن أسأل عن مسألة يتزايد التعليق عليها، خصوصاً من الوهابية على مواقعهم الإلكترونية، أو على شبكاتهم التلفزيونية، وهي الآتية:

لماذا معظم أمهات الأئمة «عليهم السلام» هم من الجواري والإماء؟!

ألا يوجد نساء صالحات في زمانهم ليكن أوعية لهؤلاء الأئمة غير الجواري؟!!

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار معظم زوجاته من الأحرار إلا مارية القبطية؟!!

أفيدونا بهذه المسألة ولكم الأجر والثواب..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسله، وعباده الصالحين، لا سيما محمد وآله الطاهرين..

أخي الكريم.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

بالنسبة لسؤالكم عن كون أمهات الأئمة من الإماماء، أقول:

الإماماء من أمهات الأئمة ^ :

إن مراجعة النصوص تعطي: أن أمهات سبعة من الأئمة الإثني عشر «عليهم السلام» كن أمهات أولاد، وهم:

1 - أم الإمام السجاد «عليه السلام» كانت فارسية.

2 - أم الإمام الكاظم حميدة كانت بربرية.

3 - أم الرضا «عليه السلام» سنديّة.

4 - أم الإمام الجواد، قبطية أو نوبية.

5- أم الإمام الهادي، أم ولد، كانت مغربية.

6 - أم الإمام العسكري أم ولد أيضاً.

7 - أم الإمام المهدي «عليه السلام» رومية.

الإمام إمام جميع الأمم:

لقد ثبت: أن الله تعالى قد بعث رسلاً لجميع الأمم.. فقد قال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)(1). وقال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)(2).

وعن أبي ذر عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أن الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي.. والمرسلون منهم: ثلاثمائة وثلاثة عشر نبياً(3).

(1) الآية 47 من سورة يونس.

(2) الآية 24 من سورة فاطر.

(3) معاني الأخبار ص333 والخصال ج2 ص631 و (ط جماعة المدرسين سنة 1403 هـ) ص524 وعوالي اللآلي ج1 ص92 وبحار الأنوار ج11 ص32 وج74 ص71 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص599 والثقات لابن حبان ج2 ص119 وتاريخ مدينة دمشق ج23 ص275.

وفي نهج البلاغة: ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة، رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمى له من بعده، أو غابر عرفه من قبله..

إلى أن قال: على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء.. إلى أن بعث الله سبحانه محمداً(1).
وسادات الأنبياء هم أولو العزم، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد «صلى الله عليه وآله»، وعليهم السلام»

ومعنى العزم فيهم: الثبات على العهد والميثاق المأخوذ منهم، وعدم نسيانه، كما يستفاد من الروايات(2)، ومن الآيات.. فقد قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)(3).

وقال تعالى أيضاً مشيراً إلى معنى العزم: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو

-
- (1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 24 وبحار الأنوار ج 11 ص 61 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 1 ص 113 - 116 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 576.
(2) راجع: تفسير البرهان ج 4 ص 178 و 179 الرواية رقم 3 و 5 و 6.
(3) الآية 7 من سورة الأحزاب.

الْعَزْمُ مِنَ الرُّسُلِ..(1).

وقال سبحانه: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)(2).

الهداية الإجمالية والتفصيلية:

يستفاد من الروايات: أن هناك هداية إجمالية، وهي الكون على فطرة، فهي تجامع الضلال بمعنى الجهل في التفاصيل، ففي مجمع البيان عن الإمام الباقر «عليه السلام»: كانوا (أي الناس) قبل نوح أمة واحدة، على فطرة الله، لا مهتدين ولا ضلالاً، فبعث الله النبيين(3).

وروي عن الإمام الصادق «عليه السلام» ما يدل على أن الهداية هي ذكر الميثاق حقيقة، أو الجري على حال من هو ذاكر للميثاق، وإن لم يكن ذاكرًا له حقيقة(4).

(1) الآية 35 من سورة الأحقاف.

(2) الآية 115 من سورة طه.

(3) تفسير مجمع البيان ج2 ص65 وبحار الأنوار ج11 ص10 والتبيان ج2 ص195 والتفسير الصافي ج1 ص245 وتفسير نور الثقلين ج1 ص208 و309 وتفسير كنز الدقائق ج1 ص511.

(4) راجع: تفسير العياشي ج1 ص104 وتفسير الميزان ج2 ص142 و143

الأنبياء من غير العرب:

وبعد ما تقدم نقول:

هناك روايات تشير إلى مضمون الآيات الدالة على أن الأنبياء كانوا من جميع الأمم، فلاحظ مثلاً ما يلي:

1 - عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «أربعة من الأنبياء سريانيون: آدم، وشيث، وأخنوخ - وهو إدريس «عليهم السلام»، وهو أول من خط بالقلم - ونوح «عليه السلام»..

وأربعة من الأنبياء من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك محمد.

وأول نبي من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى الخ..»(1).

وقد يقال: لماذا لا يكون يوسف «عليه السلام» أول أنبيائهم؟!

ويجاب:

والتفسير الصافي ج 1 ص 244 و 245.

(1) معاني الأخبار ص 333 والخصال ج 2 ص 631 و (ط جماعة المدرسين سنة 1403 هـ) ص 524 وعوالي اللآلي ج 1 ص 92 وبحار الأنوار ج 11 ص 32 وج 74 ص 71 وتفسير القرآن العظيم ج 1 ص 599 والثقات لابن حبان ج 2 ص 119 وتاريخ مدينة دمشق ج 23 ص 275.

بأن الكلام عن الأنبياء والمبعوثين إليهم بعد أن كثروا وأصبحوا قوماً..

وأول من تكلم بالعربية: إسماعيل كما في بعض الروايات (1).

وفي بعض الروايات: أن أول من تكلم بالعربية خمسة (2).

والتكلم بالعربية والنطق بها لا يعني أن المتكلم هو من جنس العرب أيضاً..

ولأجل ذلك لم يذكر إسماعيل في الرواية المتقدمة.. كما أن هناك رواية ذكرت أن رسل العرب سبعة، فراجع (3).

2 - عن علي «عليه السلام»: «بعث الله نبياً أسود لم يقص علينا قصته» (4).

3 - ويقال: «إن لقمان كان عبداً أسوداً حبشياً ذا سعة، ثم آتاه الله الحكمة، لصدق الحديث، والصمت عن ما لا يعنيه.

(1) راجع: بحار الأنوار ج12 ص87 و 112 وج75 ص178 وج25 ص29.

(2) راجع: بحار الأنوار ج10 ص80 وج11 ص36.

(3) راجع: بحار الأنوار ج20 ص242.

(4) راجع: مناقب آل أبي طالب ج1 ص331 وبحار الأنوار ج11 ص21 وج40 ص170. وراجع: تفسير الصافي عن مجمع البيان.

وقال ابن عباس، ومجاهد وقتادة: لم يكن نبياً.

وقال عكرمة: كان نبياً⁽¹⁾.

وروي: أن عمرو بن العاص قدم من الإسكندرية على النبي «صلى الله عليه وآله»، فسأله عما رأى؟!!

فقال: رأيت قوماً يتطأسون، ويجتمعون حلقات، ويذكرون رجلاً يقال له: أرسطوطاليس لعنه الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: مه يا عمرو! إن أرسطوطاليس كان نبياً، فجعله قومه⁽²⁾.

وذكر السيد رضي الدين علي بن طاووس قولاً: بأن أبرخس وبطليموس كانا من الأنبياء، وأن أكثر الحكماء كانوا كذلك، وإنما التبس على الناس أمرهم لأجل أسمائهم اليونانية، أي لما كانت أسماؤهم موافقة لأسماء بعض حكماء اليونان الذين ينسب إليهم فساد الاعتقاد، اشتبه على الناس حالهم، وظنوا أن أصحاب تلك الأسماء بأجمعهم على نهج

(1) راجع: التبيين للشيخ الطوسي ج 8 ص 275.

(2) راجع: الكافي ج 8 ص 69 وحلية الأبرار ج 2 ص 357 وبحار الأنوار ج 32 ص 133 و 134 ونهج السعادة ج 1 ص 198.

واحد من الاعتقاد(1).

الصلاح والطهر في جميع المجتمعات:

إن القاعدة عند الإمام علي وأهل البيت «عليهم السلام» هي ما قاله «عليه السلام»: «أيها الناس، إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإن الناس كلهم أحرار»(2). وما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كلكم لآدم وآدم من تراب (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ)»(3). وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى(4).

كما أن الله تعالى بعث الأنبياء للناس ودعاهم إلى عبادته، وهداهم

(1) راجع: الحديقة الهلالية للشيخ البهائي ص106 وكشف المراد في شرح تجريد

الاعتقاد (تحقيق الأملي) هامش ص206.

(2) راجع: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (تحقيق الأملي) هامش ص206

عن الديلمي في محبوب القلوب (ط1) ص14.

(3) الآية 6 من سورة الحجرات.

(4) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص128 وتحف العقول ص34 ومشكاة

الأنوار ص120 وبحار الأنوار ج67 ص287 و 288 وج73 ص350

وراجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج16 ص43 و (الإسلامية) ج11

ص335 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص438 ومستطرفات السرائر ص619

ومجمع الزوائد ج8 ص86.

إلى الصراط المستقيم، وقال: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (1).

فإذا كان هناك أنبياء لجميع الأمم، فذلك يعني وجود الإيمان والصلاح والطهارة في تلك الأمم، ولا ينحصر ذلك بخصوص المجتمع العربي، لأن هذه هي دعوة الأنبياء، ومن آثار جهدهم وجهادهم، وتربيتهم للناس.. وإن كان ذلك لا يمنع من غلبة الطواغيت، وسيطرتهم على الناس، وقهرهم وظلمهم لهم..

النبوة والإمامة تعني التواصل:

إذا كانت نبوة نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» شاملة للعالمين كلهم، فلا بد أن يكون «صلى الله عليه وآله» قادراً على الاتصال بهم، وعلى التبشير والإنذار فيهم، كما لا بد أن يكون مطلعاً على أحوالهم، وعارفاً بما يصلحهم، وكذلك الحال بالنسبة لوصيه من بعده، فإنه وصيه على الأبيض والأسود، وإمام لكل من كان النبي «صلى الله عليه وآله» مبعوثاً لهم.

وقد تحدثنا في كتابنا: «خلفيات كتاب ماساة الزهراء» عن الولاية التكوينية للأنبياء والأوصياء، وذكرنا بعض ما يرتبط بكيفية تعاطي النبي والإمام مع القريب والبعيد من الأمم التي أرسل إليها، فراجع.

(1) الآية 24 من سورة فاطر.

بنت يزدرجرد لم تتداولها الأيدي:

ونقل المفيد، وابن شهر آشوب، عن ابن الكلبي: أن علياً «عليه السلام» ولى حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق، فبعث إليه بابنتي يزدرجرد بن شهر يار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين «عليهما السلام» شاه زنان منهما، فأولدها زين العابدين «عليه السلام»، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر، فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر (1).

وهذا معناه: أنها لم تكن سبية، وأن الأيدي قد تداولتها وتعرضت لما تتعرض له أكثر الإماماء..

أما عبارة: «فنحل ابنه الحسين «عليهما السلام» شاه زنان منهما الخ..» فليست من كلام المعصوم، بل هو من كلام الراوي..

ويبدو: أن هذا الراوي قد توهم: أن حريث بن جابر قد أرسلها إلى

(1) راجع: الإرشاد للمفيد ص253 و (ط أخرى) ص269 و (ط دار المفيد سنة 1414 هـ) ج2 ص137 وروضة الواعظين ص201 ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء سنة 1412 هـ) ج4 ص56 و (ط المطبعة الحيدرية سنة 1376 هـ) ج3 ص208 عن ابن الكلبي، والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص162 وبحار الأنوار ج46 ص12 وإعلام الوري ج1 ص480 و 481 والدر النظيم ص579 وكشف الغمة ج2 ص295.

علي «عليه السلام» بعنوان أنها سبية.. مع أن الأمر ليس كذلك، فإن قتل يزدجرد، واستيلاء المسلمين على حكمه وبلاده كان قد مضى عليه حوالي عقد ونصف.

ولم يكن حريث بصدد فتح بلاد جديدة، ليحصل منها على أسارى وسبايا..

على أن السبايا إنما يفرقن على الفاتحين، فإن كان سبيهن قد حصل في زمن عمر، فإن المقاتلين الفاتحين لبلاد فارس لم يكونوا من أهل تلك البلاد، بل كانوا من العرب، فما معنى أن يجد حريث بن جابر هؤلاء السبايا في بلاد المشرق!!

إلا أن يقال: لعل من وقعن في نصيبه قد باعهن لغيره، ممن كان يسكن في بلاد فارس.

ونجيب:

أولاً: بالسؤال عن السبب في إعادة سبيهن..

فإن قلت: لعلهن هربن من أسيادهن، فعثر عليهن حريث في بلاد المشرق..

فإنه يجاب: بأن المفروض في هذه الحالة إرجاعهن لمن ملكهن، لا إرسالهن إلى علي «عليه السلام».

ثانياً: إن الروايات التي تتحدث عن سبيهن في عهد عمر تقول: إن علياً «عليه السلام» لم يرض بسبيهن، ولا بتمكين المقاتلين منهن، بل

يقال: إنه «عليه السلام» قد أعتق نصيبه من السبي، فتنبعه غيره في ذلك، ففات على عمر ما كان قد دبره في سبي الأعاجم (1).

ثالثاً: روي أن السبايا عرضت على المسلمين، وهن متابعات بينهم، فأبرزت شهربان بنت يزدجرد، وهي مختمرة، وعليها من ثياب الملوك شملة، فقال عمر: احبسوا عنها الخمار، فلا حرمة إلا للإسلام. فقال له علي «عليه السلام»: «يجب لبنات الملوك أن تتميزن عن غيرهن».

فقال له عمر: أفيخرجن من السبي، ويزول عنهن الرق؟! قال: «[لا] ولكن لا يهتك خمرهن، ويجعل الاختيار إليهن فيمن يملكهن».

فأجاز عمر ذلك، وطيف بها عليهم - وهم جلوس مجتمعون - ليقع اختيارها على من تملكها من المسلمين، فلم تزل تتفحصهم، ثم أشارت

(1) راجع: مستدرك الوسائل ج11 ص132 والغارات للثقي ج2 ص825 ودلائل الإمامة ص194 و 195 ومناقب آل أبي طالب (ط المطبعة الحيدرية سنة 1376 هـ) ج3 ص207 و 208 وبحار الأنوار ج31 ص133 و 134 وج45 ص330 وج46 ص15 وج97 ص56 وج101 ص199 والدر النظيم ص579 والعدد القوية ص57.

إلى الحسين «عليه السلام» من بينهم الخ..(1).

وهذا معناه: أنها لم تملك بالسبي، وإنما ملكها الإمام الحسين «عليه السلام» باختيارها، ولم تتداولها الأيدي.

رابعاً: إن من المعلوم: أن أحداً لم يكن يجروء على التعرض للسبيات قبل قسمتهن من قبل الخليفة أو من يأذن له. وكلنا يعلم كيف أن بعض الصحابة قد أرسل بريدة بن الخصيب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، يشتكي علياً «عليه السلام» حين رآه قد اصطفى لنفسه جارية من السبي - توهم أنه قد قاربها(2).

(1) راجع: العقد النضيد ص145 وراجع: الخرائج والجرائح ج2 ص750 وبحار الأنوار ج46 ص10 عنه.

(2) راجع: راجع: مجمع الزوائد ج9 ص128 عن الطبراني، وخصائص النسائي ص102 و 103 ومشكل الآثار ج4 ص160 ومسند أحمد ج5 ص359 و 350 و 351 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص342 وقال: رواه البخاري في الصحيح، وحلية الأولياء ج6 ص294 وسنن الترمذي ج5 ص632 و 639 وكنز العمال ج15 ص124 و 125 و 126 - 271 والمناقب للخوارزمي ص92 والمستدرك للحاكم ج3 ص110 و 111 على شرط مسلم، وتلخيص المستدرك للذهبي (بهامشه) وسكت عنه، والبداية والنهاية ج7 ص344 و 345 عن أحمد والترمذي، وأبي يعلى وغيره بنصوص مختلفة. والغدير ج3

فكيف يمكن أن نتصور بعدهن أن تكون بنات كسرى قد تداولتهن الأيدي، وتعرضن لما تتعرض له الإماماء عادة، من إذلال واستذلال؟!

أم الإمام الحجة × لم تتداولها الأيدي:

وقال المسعودي في كتاب إثبات الوصية: «روى لنا الثقات من مشايخنا: أن بعض أخوات أبي الحسن علي بن محمد الهادي «عليه السلام» كانت لها جارية ولدت في بيتها وربتها، تسمى نرجس، فلما كبرت وعلبت دخل أبو محمد الحسن العسكري «عليه السلام»، فنظر

ص216 عن بعض من تقدم، وعن كنز العمال ج6 ص152 و 154 و 300 وعن نزل الأبرار للبديخي ص22 والرياض النضرة ج3 ص129 و 130 وعن مصابيح السنة للبغوي ج2 ص257 والبحر الزخار ج6 ص435 وجواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للصعدي (مطبوع بهامش المصدر السابق) نفس الجلد والصفحة، عن البخاري والترمذي. والمعجم الأوسط ج5 ص117 وبشارة المصطفى ص146 و 147 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص291 و (ط أخرى) ص195 والأمالى للطوسي ص250 وبحار الأنوار ج39 ص282 ونهج السعادة ج5 ص279 ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج1 ص425 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص86 وج16 ص453 وج21 ص532 وج2 ص275 و 276 و 277 و 278 وج30 ص278.

إليها، فأعجبته.

فقالت له عمته: أراك تنتظر إليها؟!!

فقال «عليه السلام»: إني ما نظرت إليها إلا متعجباً!! أما إن المولود الكريم على الله جل وعلا يكون منها..(1). ثم تذكر الرواية: أن ذلك هو ما حصل بالفعل..

وهذا يعني: أنها لم تنتقل في أيدي المالكين والنخاسين.. ولم تتعرض لأي شيء، مما يحتمل أن تتعرض له مثيلاتها.. بل هي قد نشأت وتربت في بيت وطهارة وكرامة..

النبي إسماعيل × ابن أمة:

إن تزويج الأنبياء والأوصياء من الإماء، وولادتهم منهن لم يكن أمراً عارضاً، بل هو من السياسة الإلهية المرسومة التي بدأت منذ عهد إبراهيم، حيث إن هاجر أم إسماعيل كانت أمة، فوهبها الملك آنئذٍ لسارة زوجة إبراهيم «عليه السلام»، فاشتراها إبراهيم منها(2)، فولدت له

(1) راجع: إثبات الوصية ص218 وراجع: كمال الدين ج2 ص426 وأعيان الشيعة ج2 ص46 وج6 ص217.

(2) راجع: بحار الأنوار ج12 ص46 و 47 والكافي ج8 ص370 - 373.

إسماعيل «عليه السلام».. وولدت سارة إسحاق (1).

وروي عن الصادق «عليه السلام»: كان لإبراهيم ابنان، فكان أفضلهما ابن الأمة (2).

فإن كان لا يصح أن تكون أم الإمام أمة، فلا يصح أن تكون أم النبي أمة، وإسماعيل كان نبياً، وكانت أمه أمة لسارة، وكانت قبل ذلك في ملك الملك الذي أراد التحرش بسارة زوجة إبراهيم «عليه السلام»، وكان هو الذي وهبها لها.. فجميع الإشكالات التي تذكر على الأئمة «عليهم السلام» فيما يرتبط بإمامتهم تصبح غير ذات معنى، لأن قصة إسماعيل مع والدته تحسم النزاع.. خاصة وأن إسماعيل هو أحد آباء نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله».. وهذا دليل قاطع لا مجال للنقاش فيه..

ومن الدلالات أيضاً:

ثم إننا نجد في الروايات دلالات عديدة أخرى على أن لأمهات الأئمة «عليهم السلام» خصوصية يمتزّن بها عن غيرهن من النساء فإن

(1) راجع: بحار الأنوار ج12 ص118 عن سعد السعود لابن طاووس ص41 و42 وعن التوراة، السفر التاسع.

(2) راجع: بحار الأنوار ج12 ص110 وقصص الأنبياء للراوندي ص112.

لله تعالى عناية خاصة بهن، لأن الأمر يتعلق بالإمام الذي يحتاج إلى الإستقرار في أصلاب شامخة، وأرحام مطهرة، وأصل زاك.

وإنما يعرف من يجمع هذه الصفات بالدلالة الإلهية، والرعاية الربانية لأن الله تعالى هو الذي يختارهن وعاء للإمامة..

والشواهد على ذلك كثيرة.. فقد بينت الأخبار أن الأئمة كانوا يعرفون تلك النساء الطاهرات حتى قبل مجيئهن إلى بلاد الإسلام، وكانوا يرسلون من يشتريهن، ويدلونهم على مواضعهن، ويصفونهن بما يزيل أية شبهة، كما أنهم كانوا يحددون لهم أثمانهن بصورة دقيقة، ويضعون أثمانهن مسبقاً في صرر مختومة، وهناك روايات عديدة تشير إلى ذلك، فيمكن مراجعتها في كتب الحديث والسيرة والتاريخ..

غير أننا هنا نكتفي بالإشارة إلى أمرين:

أحدهما: أنه لما ابتاع الإمام الكاظم «عليه السلام» «تكتم» أم الإمام الرضا «عليه السلام»، جمع قوماً من أصحابه، وقال لهم: «والله ما اشتريت هذه الأمة إلا بأمر الله»⁽¹⁾.

(1) راجع: الأنوار البهية ص210 والدر النظيم ص677 ودلائل الإمامة ص348 ومدينة المعاجز ج6 ص402 و 403 وج7 ص8 ومستدرک سفينة البحار ج7 ص392.

الثاني: روي عن محمد بن عثمان العمري «رحمه الله» أنه قال عن الإمام الحجة: «ولد السيد مختوناً، وسمعت حكيمة تقول: لم يُرَ بأمه دم في نفاسها، وهكذا سبيل أمهات الأئمة «عليهم السلام»..»(1).

وقال الشيخ الطبرسي: «وهذا ما تميزت به أمهات أئمتنا عن سائر النساء، لأنه لم يصح في واحدة من جميع النساء حصول الولادة مع ارتفاع الحيض عنها سواهن. تخصيصاً لهن لكان أولادهن المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين»(2).

هذا وفي الروايات: إن بنات الأنبياء لا يحضن(3).

-
- (1) كمال الدين ج2 ص433 وتاج المواليد للطبرسي (مطبوع ضمن مجموعة رسائل نفيسة - إنتشارات بصيرتي - قم - إيران) ص21.
- (2) تاج المواليد (المجموعة) ص21.
- (3) دلائل الإمامة (ط النجف) ص52 و 55 ومستدرك الوسائل ج2 ص37 و 38 وبحار الأنوار ج78 ص112 وج43 ص25 وص15 و 16 وج12 ص107 وج81 ص81 وعلل الشرايع ج1 ص290 و 181 والخراج والخراج ج2 ص527 وروضة المتقين ج5 ص342 والكافي ج1 ص458 ومعاني الأخبار ص64 وهناك مصادر كثيرة أخرى. فراجع مأساة الزهراء الجزء الأول.

نصوص صريحة: أبكر أنت أم ثيب؟! :

ثم إن لدينا أخباراً عديدة تصرح: بأن أمهات الأئمة كن أبكاراً، لم تلمسهن الأيدي، قبل أن يصلن إلى الإمام «عليه السلام»، ونذكر من ذلك ما يلي:

في الرويات أن أم الإمام السجاد «عليه السلام» رأت السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام» في المنام فأسلمت على يدها، قبل أن يأخذها عسكر المسلمين. ويروى أنها «عليها السلام» قالت لها: «إن الغلبة ستكون للمسلمين، وأنتك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة، لا يصيبك بسوء أحد.

قالت: وكان من الحال: أنني خرجت إلى المدينة ما مس يدي إنسان»(1).

وهذا يدل على العناية الربانية بها، وعلى أنها كانت طاهرة الذيل نقية الجيب، كما أن حديثها يتضمن خبراً غيبياً عما يجري لها، وقد صدقته الوقائع، واتضح: أن الأمر يرتبط بالعناية الإلهية.

ولا بد من الإشارة إلى أن إسلامها لا يعني أنها كانت مشركة

(1) بحار الأنوار ج46 ص11 والخرائج والجرائح ج2 ص750 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج8 ص384.

وكافرة، فإن هناك أموراً تقضي بها الفطرة، ويحكم بها العقل، كالتوحيد والعدل، ولزوم بعث الأنبياء، وغير ذلك من أمور..

كما أنه لا مانع من أن يكون قد بلغها شيء عن دين الحنيفية، فالمراد بإسلامها: هو انها عرفت التفاصيل، فقبلتها وأمنت والتزمت بها.

2 - فيما يرتبط بأم الإمام الحجة نقول:

ذكرت بعض الروايات أنها بنت يسوعا بن قيصر ملك الروم، وأن أمها من ولد الحواريين من ذرية شمعون وصي عيسى «عليه السلام». وقد ذكرت هي تفصيل ما جرى لها، للرجل الذي أرسله الإمام العسكري «عليه السلام» لشرائها، وفيها: أنها كانت قد أسلمت وهي في بلاد الروم، بسبب رؤيا، بل رؤى عديدة كانت قد رأتها، وأنها لحقت سراً ببعض الجيوش التي أرسلها جدها قيصر الروم لقتال المسلمين، لكي تعرض نفسها للسبي، وتصل إلى الإمام العسكري «عليه السلام»، فأسرت وامتنتعت من كل أحد، ومنعت أياً كان من لمسها، ولم تدع أحداً يعرف أنها بنت ملك الروم⁽¹⁾.

(1) دلائل الإمامة ص 488 - 496 وكمال الدين ج 2 ص 419 - 424 والغيبة للطوسي ص 208 وروضة الواعظين ص 252 ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج 4 ص 472 - 474 وبحار الأنوار ج 51 ص 6 - 10 وراجع

وقد تقدم المراد بإسلامها قبل أسطر..

3 - وحول أم الإمام الكاظم «عليه السلام» نقول:

روى هشام بن أحمد: رواية ذكر فيها أنه اشترى للإمام الصادق «عليه السلام» أم الإمام الكاظم «عليه السلام» من رجل أفريقي، وأنها كانت مريضة، وأن بائعها قال له:

«قد والله أردتها منذ ملكتها فما قدرت عليها. وقد أخبرني الذي اشتريتها منه عند ذلك أنه لم يصل إليها.. فراجع»(1).

4 - بالنسبة لحميدة نقول:

ألف: عن المعلى بن خنيس، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، قال: حميدة (يعني أم الإمام الكاظم «عليه السلام») مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، وما زالت الأملاك تحرسها حتى أدبت إلي، كرامة من الله تعالى لي، والحجة من بعدي(2).

ص11.

(1) الأمالي لابن الشيخ الطوسي (تحقيق مؤسسة البعثة - ط سنة 1414 هـ). ص721 وإعلام الوری ص309 و 310 وبحار الأنوار ج48 ص8 و 9 عنه.

(2) الكافي ج1 ص477 وبحار الأنوار ج48 ص6 ودلائل الإمامة ص308

وهذه شهادة صريحة من الإمام الصادق «عليه السلام» على طهارتها، ولا سيما قوله: إنها كانت بحراسة الأملاك حتى أدوها إليه «عليه السلام».. كرامة من الله تعالى له.. فإن التي تتداولها الأيدي، ويلمّ بها أسيادها والنخاسون لا تصلح لأن يكرم الله تعالى وليه ووصيه «عليه السلام» بها..

كما أن حراسة ملائكة الله تعالى لها، تصبح بلا أثر ولا فائدة، إذا لم تكن حراستهم مجدية في دفع الطامعين بها عنها..

ب: قالوا أيضاً: إن حميدة كانت من أشرف العجم جارية مولدة، واسمها تكتم. وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها إلخ.. (1).

والجارية المولدة: هي التي ولدت بين العرب. فإن كانت أمها عند سيدها، وقد استولدها منها، فإنه سيحافظ عليها ولن يسمح بتعرض أحد لها، ولا سيما إذا كان أبوها من أشرف العجم.

5 - روي عن عيسى بن عبد الرحمان، عن أبيه: أن أبا جعفر أرسل جماعة لشراء حميدة من نخاس من أهل بربر، بسبعين ديناراً، فلما أدخلوها على أبي جعفر، قال لها: ما اسمك؟!

وإثبات الوصية ص160 والخرائج والجرائح ج1 ص286.

(1) بحار الأنوار ج49 ص5 وعيون أخبار الرضا ج1 ص14.

قالت: حميدة.

قال: حميدة في الدنيا، حميدة في الآخرة، أخبريني عنك: أبكر أم
ثيب؟! ثيب!

قالت: بكر.

قال: كيف ولا يقع في يد النخاسين شيء إلا أفسدوه؟!!

قالت: كان يجيء فيقعد مني مقعد الرجل من المرأة، فيسلط الله عليه
رجلاً أبيض الرأس واللحية، فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني. ففعل بي
مراراً، وفعل الشيخ مراراً.

فقال: يا جعفر خذها إليك.

فولدت خير أهل الأرض، موسى بن جعفر «عليه السلام» (1).

6 - وفي نص آخر: ثم سألها عن خبرها، فعرفته أنها بكر.

فقال لها: أنى يكون ذلك وأنت كبيرة؟!!

فقالت: كان مولاي إذا أراد أن يقترب مني أتاه رجل في صورة
حسنة، فيمنعه أن يصل إلي (2).

(1) بحار الأنوار ج 48 ص 5 عن الخرايج والجرايح ص 197 والكافي ج 1

ص 476 و 477.

(2) دلائل الإمامة ص 308.

ملاحظة مهمة :

ونلاحظ هنا أمرين:

أولهما: أنه «عليه السلام» أراد أن يسمع الناس حقيقة طهارة هذه المرأة، وأنها لا تزال بكرًا ليقطع الطريق على الطاعنين من ذوي الأغراض الخبيثة.. ولذلك سألها أمام نفس الجماعة الذين جاؤوا بها.

الثاني: أنه «عليه السلام» لم يقتصر على ما سمعه منها، لكي لا يتوهم أن جوابها المعلن قد جاء وفق ما يفرضه المقام من محاولة حفظ ماء الوجه أمام الناس.. وبعد ذلك يكون لحديث الخلوة منحى آخر..

فجاء تدقيق الإمام عليها، ومناقشتها فيما تدّعيه، بطريقة فرضت عليها التصريح بما جرى، ليقطع دابر الاحتمالات والتوهمات.. وليظهر للناس: أن ثمة عناية ربانية بصيانتها، وحفظها لتكون الوعاء الطاهر للإمامة.

7 - وروي: أن أم الإمام الرضا «عليه السلام» كانت مغربية، وقد روي: أن الذي باعها للإمام الكاظم «عليه السلام» ذكر أنه اشتراها لنفسه، فأخبرته امرأة من أهل الكتاب أنه ما ينبغي أن تكون هذه الجارية عند مثله، بل ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فتلد له غلاماً، لم

يولد بشرق الأرض ولا بغربها مثله(1).

وعن علي بن ميثم، قال: سمعت أبي يقول: سمعت أُمِّي تقول: كانت
نجمة بكرة لما أشترتها حميدة(2).

للتأكيد والتأييد أيضاً:

وتشير أخيراً إلى لمحات تصلح للتأييد والتأكيد على ما أسلفناه،
فلاحظ ما يلي:

1 - إن أم السجاد «عليه السلام» كانت من بنات ملوك فارس، وهو
يزجرد بن شهريار(3). فهي من البيوتات الرفيعة التي تهتم بالصون
والعفة، ولا يجرؤ أحد على المساس بشرفها..

(1) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج 4 ص 392 وبحار الأنوار ج 49
ص 7 و 8 وراجع ج 48 ص 9 و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 16 و 17 وعن
الإرشاد ص 328 و 287 و 288 وعن الخرائج والجرائح ص 235 وراجع
إعلام الوري ص 310 ودلائل الإمامة ص 348.

(2) بحار الأنوار ج 49 ص 7 و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 16.

(3) راجع: الكافي ج 1 ص 466 و 467 والإرشاد ص 253 وإثبات الوصية
ص 145 و فرق الشيعة ص 53 وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار
الأضواء) ج 4 ص 189 وبحار الأنوار ج 46 ص 8 و 9 و 12 و 13 و 14 و
15.

وكان «عليه السلام» يقول: أنا ابن الخيرتين، لأن جده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمه بنت يزدجرد الملك.

وروي عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «الله من عباده خيرتان، فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس» وقال أبو الأسود الدؤلي:

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيّطت عليه التمام(1)

وهذا يدل: على أن لأم الإمام السجاد «عليه السلام» مقاماً خاصاً، يقتضي أن تشملها العناية الربانية، وأن يصونها من كل سوء، كما دلت عليه سائر النصوص التي ذكرناها.

ومهما يكن من أمر، فقد قيل: إنها قد سببت في زمن عمر(2).

وقيل: في زمن عثمان(3).

(1) راجع: ربيع الأبرار ج1 ص402 ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج4 ص181 وراجع: بحار الأنوار ج46 ص4 و8.

(2) الكافي ج1 ص467 وإثبات الوصية ص145 وبصائر الدرجات (ط النجف) ص335 ودلائل الإمامة ص194 و195 وبحار الأنوار ج46 ص9 و10 و11 و12 و15 و16 عن بصائر الدرجات الباب 11 جزء 7 وعن الخرايج والجرايح، ومدينة المعاجز ج2 ص226.

(3) راجع: عيون أخبار الإمام الرضا ج2 ص127 وبحار الأنوار ج46 ص8.

وقد ذكرنا فيما تقدم أيضاً: أن ثمة ما يدل على أنها قد أرسلت إلى الإمام علي «عليه السلام» في أيام خلافته..

2 - عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال في حق أم الإمام الجواد «عليه السلام»: بأبي ابن خيرة الإمام، ابن النوبية، الطيبة الفم، المنتجة الرحم(1).

3 - وروي: أن الإمام الهادي «عليه السلام» قال: «هي من أهل الجنة، لا يقربها شيطان، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي مكلؤة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين».. وكانت مولدة(2).

4 - ولما أدخلت أم الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» على أبي الحسن الهادي «عليه السلام»، واسمها سليل، قال: سليل مسلولة من الآفات والعاهات، والأرجاس والأدناس(3).

5 - وأما أم الإمام المهدي «عليه السلام»، فقد روي عن الإمام

(1) الكافي ج 1 ص 322.

(2) إثبات الوصية ص 193 ودلائل الإمامة ص 410 ومدينة المعاجز ج 1 ص 538.

(3) إثبات الوصية ص 207.

الرضا «عليه السلام» قوله عن الإمام الحجة: «ابن سيدة الإمام» (1).

فسيدة الإمام لا بد أن تكون لها ميزة استحققت بها أن تكون سيدة لهن، ولو بأن لا يجري عليها ما يجري على الإمام من استذلال لها في عرضها وكرامتها، مما يمنع من افتخار أبنائها بها وهم أشرف الخلق وأجلهم، وأعظمهم بركة، وأخلصهم طينة، وأطهرهم طهراً، وأبينهم كرامة وفضلاً..

وذلك إنما يكون في بيوت الأنبياء والأوصياء، ثم في بيوت الشرف والصون.. كما تقدم.

خلاصة .. وختام :

وبعدما تقدم، نعود لنؤكد ما يلي:

1 - إنه لا شيء يمنع من أن يتزوج الإمام من نساء طاهرات زاكيات اصطفاهن الله تعالى من بين نساء تلك الشعوب، وأن تكون أم الإمام منهم أيضاً، فكانت أم الإمام السجاد بنت ملك فارس، وأم الإمام الحجة حفيدة ملك الروم، وأمها من ذرية شمعون وصي عيسى «عليه السلام».. وأم الإمام الكاظم «عليه السلام» من أشرف الأعاجم، كما لا محذور في أن تكون أم الإمام بربرية، أو سنديّة، أو رومية أو غير ذلك.

(1) كمال الدين ص372.

وربما يكون لهذا التنوع بعض الأثر في أن لا تجد تلك الأمم حرجاً في قبول الإسلام. كما أن ذلك يحد من الإنسياق في متهاتات التمييز العنصري اللئيم، والسقوط في بؤرته الخبيثة.

2 - إن السبي مجرد حالة طارئة على حياة الإنسان، وهي نتيجة ممارسة القوة ضد بعض الناس، حتى أدى ذلك إلى مصادرة قراره، وحرية إلى حد تسويق بيعه في الأسواق.

لكن هذا لا يلزم سقوط معنى العفة والشرف والطهر لدى ذلك المقهور.. لأن ذلك لا يعني سد جميع الأبواب في وجه النسوة المسيبات.. فضلاً عن أن الإرادة الإلهية قد تتدخل للحيلولة دون تعرضهن لشيء من ذلك، وليبقى الشرف والصون والطهر في منأى عن أي مكروه.

وقد ظهر ذلك في قصة سارة زوجة نبي الله إبراهيم «عليه السلام»، فإنها كانت حرة، وقد تعرضت لمحاولة دنيئة من قبل حاكم، ولكن الله تعالى تدخل لحفظها وصونها..

والأسباب القريبة والبعيدة لهذا الصون كثيرة ومتنوعة، فربما تقع السبية في يد شيخ لا أرب له بالنساء، أو تمتنع هي منه بالإباء والممانعة، ولو بتعريض نفسها للضرب والأذى.. كما أنه قد ينتهي بها الأمر للوقوع في يد امرأة هدفها الاستفادة من خدمتها.. وقد.. وقد.. وفتح باب الطعن على الأئمة «عليهم السلام» بهذه الطريقة، التي تسعى لفرض

احتمالات لا مبرر لها من الناحية العلمية يفسح المجال للحديث عن خلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس بطريقة علمية تثبت أموراً لا يحسن تداولها ولا إثارتها.

3 - في الأمم الأخرى أنبياء، وأوصياء، ومؤمنون أيضاً، فلعل تلك المسيبية من ذرية أحدهم، وقد دلت بعض الروايات على أن بعضهن كن بنات أناس مرموقين، ومن الأسياد في مجتمعاتهم.

4 - إن كون أولئك النسوة يعشن في مجتمع أهل الكفر، وقد سببن منه، لا يعني أنهن على دين ذلك المجتمع، لأن دعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد طبقت الآفاق، وسار ذكره وذكر دينه ورسالته في كل اتجاه.. وسبل الهداية كثيرة ولا حصر لها، فإن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق.. فلعل بعض الناس كان مسلماً ومؤمناً، ويمارس التقية مع من يراهم ويتصل بهم. ثم عرض له السبي، فكانت نجاته به..

وقد وجدنا فيما روي عن حالات أولئك النسوة ما يدل على هذا المعنى أيضاً.

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله..

جعفر مرتضى العاملي..

ما الفرق بين الآيتين؟! :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ما الفرق بين قوله تعالى: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)(1).

وبين قوله تعالى: (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ..)(2)؟!..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.. وبعد..

إن كلمة «لا» الواردة في الآية الثانية ليست زائدة كما قيل..

(1) الآية 75 من سورة ص.

(2) الآية 12 من سورة الأعراف.

فإن الآية الأولى، وهي قوله تعالى: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ). أريد بها الاستفهام عن شيء واحد، وهو المانع من السجود لهذا المخلوق، وهو آدم «عليه السلام»..

أما الآية الثانية، وهي قوله تعالى: (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ..)، فأريد بها السؤال:

أولاً: عن سبب عدم إطاعة الأمر، إن كانت مشكلة إبليس مع الأمر، وهو الله تعالى. أي أنه لم يعترف بمولويته، ولا يرى إلزامه إلزاماً، ولا يرى وجوب الإنقياد له.

ثانياً: عن سبب عدم السجود إن كانت مشكلة إبليس مع الأمور به، أي أنه يكره نفس السجود، لأن آدم «عليه السلام» لا يعجبه مثلاً ويكره الخضوع له، أو أن هذا السجود يوجب له ألماً أو تعباً مثلاً.

وبعبارة أخرى: قد يكون السبب في عدم طاعة الأمر هو التمرد، وقد يكون السبب هو الغفلة مثلاً، أو غير ذلك.. فيسأله عن ذلك ويقول: ما الذي منعك من الطاعة للأمر إذ أمرتك؟!

وقد يكون السبب في عدم السجود: هو أن السجود يزعجه أو يضره، أو لأنه يستكبر عن أن يسجد لمثل آدم..

وقد يكون السبب: هذين الأمرين معاً، فالسؤال في هذه الحالة ينحل إلى سؤالين، وهو يمثل أعلى درجات الإعجاز البياني.

فكأنه قال: ما منعك من طاعة أمري حين أمرتك حتى نتج عن ذلك

أن لا تسجد، هل هو أنك لا تعترف بالآمر وتتكبر عليه.

أو أنك تكره المأمور به، لأنه سجود لشخص تكرهه وهو آدم.

أو أن السبب هو كلا الأمرين، فأنت لا تعترف بالوهمية الله، ولا

تعترف بآدم ولا ترى له شأنًا يجعله أهلاً لأن يكون قبلة للساجدين..